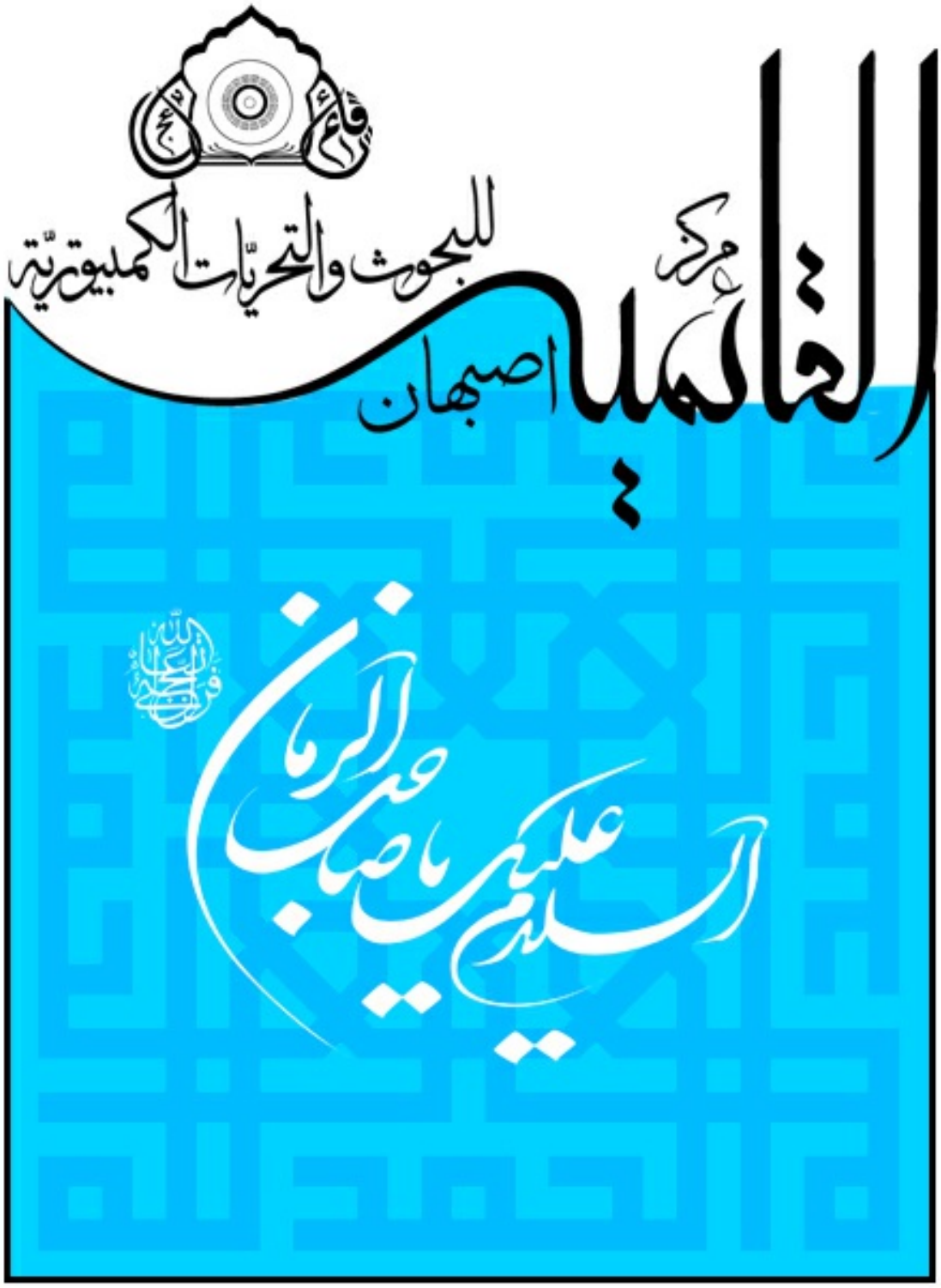

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة الثقافة والفكر الإسلامي

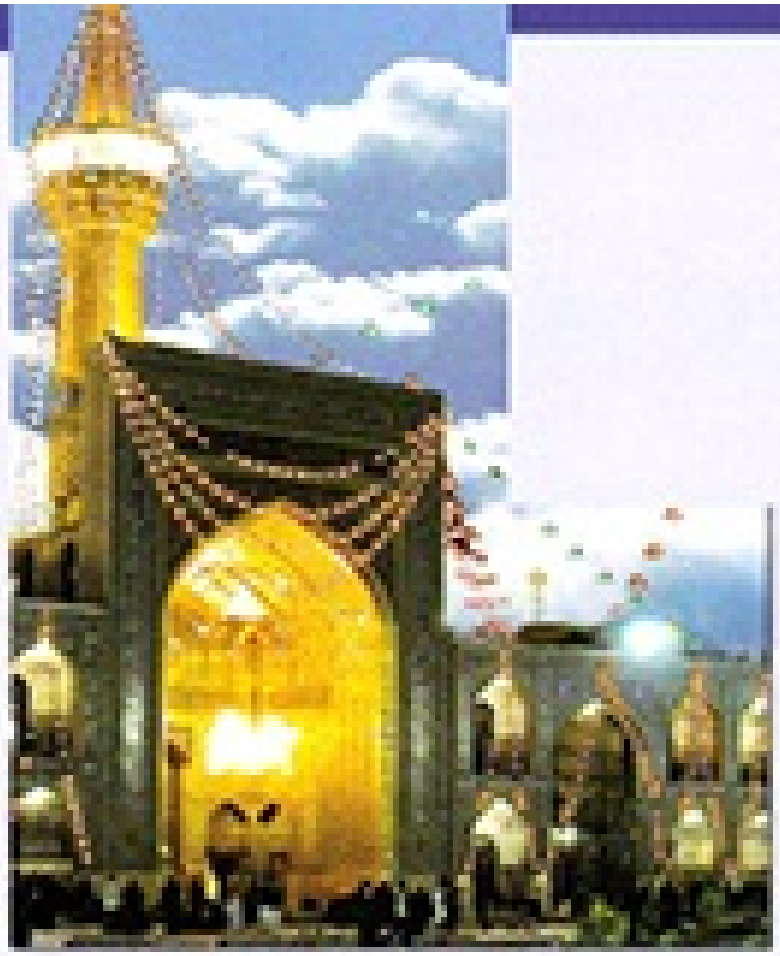

السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الرضا

قدوة وأسوة

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الرضا عليه السلام، قدوه و اسوه

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

مکتب العلامه المدرسی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه ----- ۶
اشاره ----- ۶
اشاره ----- ۶
تمهید ----- ۱۰
اشاره ----- ۱۲
الفصل الأول: وَجَاءَ المولُودُ المَیمُونُ ----- ۱۵
الفصل الثّانی: الإِمَامُ وَعَصْرُهُ ----- ۳۷
الفصل الثّالث: شَهَادَتُهُ وَمَزَارُهُ ----- ۵۹
الفصل الرابع: کلمَاتُهُ المُضِیئَهُ ----- ۷۱
تعریف مرکز ----- ۷۵

الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه

اشاره

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور : الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه/ المولف محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۸.

مشخصات ظاهری : ص ۷۲

شابک : بها:۳۵۰ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : علی بن موسی(ع)، امام هشتم، ۲۰۳ - ۱۵۳ق. -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره : BP۴۷/م ۴الف ۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۷

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۰-۶۰۳۳

ص: ۱

اشاره

تمهید

بسم الله الرحمن الرحیم (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ (۲) الرَّحْمَنِ الرَّحِیمِ (۳) مَالِکِ یَوْمِ الدِّینِ (۴) إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَإِیَّاکَ نَسْتَعِینُ (۵) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِیمَ (۶) صِرَاطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَلا الضَّالِّینَ (۷)

ص: ۵

اشاره

الحمد لله رب العالمين وسلام الله على الأنبياء والمرسلين والملائكه والصالحين.

وصلى الله على سيد الخلق أجمعين المهيمن على رسالات الله خاتم النبيين محمد وعلى آله الهداه الميامين.

وبعد ..

إن حياه المعصومين الأربعه عشر كانت زاهره بالحب والمعرفه والعبر والبصائر، إلَّا أن ما بلغنا من ضياء بعضهم كان أكثر من البعض الآخر، والإمام الرضا عليه السلام من أولئك الذين تسنَّت لنا فرصه الاهتداء إلى المزيد من فضائلهم، ولأنهم عند الله نور واحد، فليس علينا إلَّا الاستضاءه بسيرته عليه السلام لمعرفه سيره سائر المعصومين من آبائه عليهم السلام.

وأظن أن حياه الإمام الرضا عليه السلام كانت فاتحه مرحله جديده من حياه الشيعه حيث خرجت بصائرهم وأفكارهم من مرحله الكتمان إلى الظهور والإعلان، ولم يعد الشيعه من بعد ذلك العهد طائفه معارضه فى مناطق خاصه، بل أصبحوا ظاهرين فى كل البلاد، ولقب الرضا الذى أطلق على الإمام على بن موسى عليه السلام يدل- فيما يدل- على أنه

كان إماماً رضى به الموافق والمخالف.

وها نحن نتبرك بالحديث عنه، سائلين الرب أن يرزقنا معرفته واتِّباعه وشفاعته وشفاعه جده المصطفى صلى الله عليه واله.

ص: ٨

الفصل الأول: وَجَاءَ المولُودُ المَيمُونُ

ص: ١٠

يـذكر الرواه أن أم الإمام موسـى بن جعفر عليه السـلام حميـده المصـفاه كانت من أشـراف العجم، فاشترت جاريه قد ولدت فى البلاد العربيه وتربَّت فيها، فلما اختبرتها ووجـدتها من أفضل الناس فى دينها وعقلها، اختارتها لولدها الإمام موسـى بن جعفر عليه السلام، وقالت له:

«يَا بُنَيَّ إِنَّ تُكْتَمَ (وهذا أحد أسـمائها) جَارِيَهٌ مَا رَأَيْتُ جَارِيَهً قَطُّ أَفْضَلَ مِنْهَا، وَلَسْتُ أَشُكُّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُطَهِّرُ نَسْلَهَا إِنْ كَانَ لَهَا نَسْلٌ، وَقَدْ وَهَبْتُهَا، لَكَ فَاسْتَوْصِ بِهَا خَيْراً».

وذكروا من فضلها:

أنهـا لَمَّا وَلَـدَتْ لَهُ الرِّضَـا عليه السـلام سَـمَّاهَا الطَّاهِرَهَ، فَكَـانَ الرِّضَـا عليه السـلام يَرْتَضِعُ كَثِيراً وَكَـانَ تَامَّ الْخَلْقِ، فَقَالَتْ: أَعِينُونِى بِمُرْضِعَهٍ، فَقِيلَ لَهَا: أَنَقَصَ الدَّرُّ؟ فَقَالَتْ: لَا أَكْذِبُ، وَاللهِ مَا نَقَصَ، وَلَكِنْ عَلَيَّ وِرْدٌ مِنْ صَلَاتِى وَتَسْبِيحِى وَقَدْ نَقَصَ مُنْذُ وَلَدْتُ (١)

. وقـد ذكر المؤرخون أسـماء عديـده لوالده الإمام، لأنها جاريه فكانت تسـمى عند كل مولاه باسم جديد. فمن أسـمائها: نجمه، وأروى، وسكن، وسمان، وتكتم، وطاهره. إلَّا أن أشهر الأسماء هو تكتم، وبعد ولادتها سُمِّيت طاهره، وأم البنين.

وفى سنه مائه وثمان وأربعين من الهجره فى اليوم الحادى عشر من

١- (١) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۵.

شهر ذی القعده الحرام (۱) وُلِدَ الإمام علیه السلام، وعمَّ بیت الرساله سرور وبهجه.

تقول أمه (تکتم الطاهره): «لَمَّا حَمَلْتُ بِابْنِی عَلِیٍّ لَمْ أَشْعَرْ بِثِقْلِ الْحَمْلِ، وَکُنْتُ أَسْمَعُ فِی مَنَامِی تَسْبِیحاً وَتَهْلِیلًا وَتَمْجِیداً مِنْ بَطْنِی فَیُفْزِعُنِی ذَلِکَ وَیَهُولُنِی، فَإِذَا انْتَبَهْتُ لَمْ أَسْمَعْ شَیْئاً، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ وَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ وَاضِعاً یَدَهُ عَلَی الْأَرْضِ رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَی السَّمَاءِ یُحَرِّکُ شَفَتَیْهِ کَأَنَّهُ یَتَکَلَّمُ، فَدَخَلَ إِلَیَّ أَبُوهُ مُوسَی بْنُ جَعْفَرٍ علیه السلام فَقَالَ لِی: هَنِیئاً لَکِ یَا نَجْمَهُ کَرَامَهُ رَبِّکَ، فَنَاوَلْتُهُ إِیَّاهُ فِی خِرْقَهٍ بَیْضَاءَ فَأَذَّنَ فِی أُذُنِهِ الْیُمْنَی وَأَقَامَ فِی الْیُسْرَی، وَدَعَا بِمَاءِ الْفُرَاتِ فَحَنَّکَهُ بِهِ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَیَّ وَقَالَ: خُذِیهِ فَإِنَّهُ بَقِیَّهُ اللهِ تَعَالَی فِی أَرْضِهِ» (۲)

. وکان الإمام موسی بن جعفر علیه السلام قد منحه لقب (الرضا) منذ نعومه أظفاره، کما أنه أعطاه کنیه أبی الحسن، فکان کثیر الحب له. هکذا یروی المفضل بن عمر یقول:

دَخَلْتُ عَلَی أَبِی الْحَسَنِ مُوسَی بْنِ جَعْفَرٍ علیه السلام وَعَلِیٌّ ابْنُهُ علیه السلام فِی حَجْرِهِ وَهُوَ یُقَبِّلُهُ وَیَمَصُّ لِسَانَهُ، وَیَضَعُهُ عَلَی عَاتِقِهِ وَیَضُمُّهُ إِلَیْهِ وَیَقُولُ: «بِأَبِی أَنْتَ مَا أَطْیَبَ رِیحَکَ وَأَطْهَرَ خَلْقَکَ وَأَبْیَنَ فَضْلَکَ!» قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! لَقَدْ وَقَعَ فِی قَلْبِی لِهَذَا الْغُلَامِ مِنَ الْمَوَدَّهِ مَا لَمْ یَقَعْ لِأَحَدٍ إِلَّا لَکَ، فَقَالَ لِی: «یَا مُفَضَّلُ! هُوَ مِنِّی بِمَنْزِلَتِی مِنْ أَبِی علیه السلام

ذُرِّیَّهً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۳)».

۱- (۱) وقیل: بل ولد فی الحادی عشر من ذی الحجه. انظر: بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲- ۳.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹.

۳- (۳) سوره آل عمران، الآیه ۳۴.

قَالَ: قُلْتُ هُوَصَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ أَطَاعَهُ رَشَدَ وَمَنْ عَصَاهُ كَفَرَ» (۱)

. وهكذا ترعرع الوليد فى ظل والده يُزكِّيه بآداب الإمامه ويعلّمه أسرارها ويُطلعه على ودائع النبوه.

وكان الإمام موسى بن جعفر يقول- حسبما جاء فى حديث-:

«عَلِيٌّ ابْنِى أَكْبَرُ وُلْدِى، وَأَسْمَعُهُمْ لِقَوْلِى، وَأَطْوَعُهُمْ لِأَمْرِى، يَنْظُرُ مَعِى فِى كِتَابِ الجَفْرِ وَالجَامِعَهِ وَلَيْسَ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَّا نَبِىٌّ أَوْ وَصِىُّ نَبِىٍّ» (۲)

. وخلال سنى حياته مع والده تولى- فيما يبدو لى- إداره بعض شؤون الطائفه نيابةً عن والده، ولعل الحديث التالى يدل على ذلك. يقول زِيَادِ بْنِ مَرْوَانَ الْقَنْدِيِّ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِى إِبْرَاهِيم (الإمام موسيبن جعفر عليه السلام) وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ ابْنُهُ فَقَالَ لِى:

«يَا زِيَادُ هَذَا كِتَابُهُ كِتَابِى، وَكَلَامُهُ كَلَامِى، وَرَسُولُهُ رَسُولِى، وَمَا قَالَ فَالْقَوْلُ قَوْلُه» (۳)

. وقد أكثر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من بيان فضائل ابنه الرضا عليه السلام وأنه خليفته والإمام من بعده مما يثير السؤال عن حكمه ذلك، ولعل من الأسباب التى تهدينا إلى تلك الحكمه:

أن الظروف السياسيه كانت قاسيه جدًّا؛ حيث التقيّه فى أشدها، وأهل البيت مطاردون، وهارون الرشيد كان يلاحق أصحاب أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم من بلد إلى بلد، ويقتلهم زرافاتٍ ووحداناً.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۰.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۹.

والإمام موسى بن جعفر يتنقل بأمره من سجن لآخر، فكانت إمكانيه تفرُّق كلمه الشيعه بعد وفاته تجعل من الحكمه التأكيد على ولايه الإمام الرضا عليه السلام.

والأصحاب بدورهم كانوا يتوجَّسون خِيْفةً من اختفاء الإمام فجأه دون معرفه الإمام من بعده، يظهر ذلك كله من بعض الأحاديث التاليه:

رُوِىَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ الزَّيْدِىِّ قَالَ: لَقِيتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِى عَنِ الْإِمَامِ بَعْدَكَ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُوكَ، قَالَ: فَقَالَ: «كَانَ أَبِى فِى زَمَنٍ لَيْسَ هَذَا مِثْلَهُ».

قَالَ يَزِيدُ: فَقُلْتُ: مَنْ يَرْضَ مِنْكَ بِهَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَهُ اللهِ. قَالَ: فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: «أُخْبِرُكَ يَا أَبَا عُمَارَهَ! أَنِّى خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِى فَأَوْصَيْتُ فِى الظَّاهِرِ إِلَى بَنِىَّ وَأَشْرَكْتُهُمْ مَعَ عَلِىٍّ ابْنِى وَأَفْرَدْتُهُ بِوَصِيَّتِى فِى الْبَاطِنِ» (١)

. ويروى عَلِىِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَاشِمِىِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْقَبْرِ (أى قبر رسول الله صلى الله عليه واله) نَحْوَ سِتِّينَ رَجُلًا مِنَّا وَمِنْ مَوَالِينَا، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام وَيَدُ عَلِىٍّ ابْنِهِ عليه السلام فِى يَدِهِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ أَنَا»؟

قُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا، قَالَ: «سَمُّونِى وَانْسُبُونِى».

فَقُلْنَا: أَنْتَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا مَعِى»؟

قُلْنَا: هُوَ عَلِىُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «فَاشْهَدُوا أَنَّهُ وَكِيلِى فِى حَيَاتِى وَوَصِيِّى بَعْدَ مَوْتِى» (٢)

. وقد اتخذ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كافه وسائل الاحتياط

١- (١) بحار الأنوار، ج ۴٩، ص ١١.

٢- (٢) بحار الأنوار، ج ۴٩، ص ١٥.

لبيان إمامه الإمام الرضا. فمثلًا: «كَتَبَ لَهُ كِتَاباً أَشْهَدَ فِيهِ سِتِّينَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ المَدِينَه» (۱)

. وكان يُرجع الأمور إليه فى حياته كما فعل عندما أشخص به إلى البصره، حيث دفع إلى عبد الله بن وحوم كتباً وأمره بإيصالها إلى نجله الرضا فى المدينه (۲).

وكتب فى البصره ألواحاً وبعثها إلى شيعته هناك، وقد كتب فيها: «عَهْدِى إِلَى أَكْبرِ وُلْدِى» (۳).

وكان يأخذ بعض الحقوق التى تُجبى إليه ويُبقى بعضها ليعطيه إلى وصيه الذى يطالبه بها ليكون علامه ظاهره، كما فعل بداود بن زربى (۴).

وذلك بعكس الظروف السياسيه الصعبه التى كان يعيشها الإمام فى حياه والده والتى احتاط الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيها لتبقى الإمامه بعيده عن الشكوك.

ويظهر ذلك بوضوح من وصيهٍ لنجله بأن يسكت مادام الرشيد حيًّا فإذا هلك نطق بالحق.

ومن جهه أخرى فى مثل هذه الظروف الصعبه التى كان الشيعه يعيشونها على عهد طاغيه بغداد هارون الرشيد، كان من الممكن أن تنتشر الخرافات التى لها سوق رائجه عند اشتداد الأزمات. ولعل بعض التيارات السياسيه كانت وراء نشر مثل تلك الخرافات لأهداف معينه.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۹.

۴- (۴) يبدو من بعض الأحاديث أن هذا الرجل كان يعيش حاله التقيه مما يجعل هذا الإجراء مناسباً لحاله.

فدرءاً لمثلها قام الإمام الكاظم ببيان إمامه ابنه الرضا بذلك الوضوح.

وبالرغم من أن فكره غياب الإمام الكاظم انتشرت ردحاً من الزمان وغذتها أيدٍ خائنه وأخرى جاهله، فقالوا: إن الإمام لم يمت، وإنه مهدى هذه الأمه. ووقفوا عند الإمام السابع فسمّوا (الواقفيه).

إلَّا أنها لم تلبث أن زالت. ويبدو أن أحد أهم أسباب ذلك، تأكيد الإمام عليه السلام فى تعريف الشيعه بأن وصيَّه هو الإمام الرضا عليه السلام.

خلقه وفضائله:

كان الإمام الرضا عليه السلام بمثابه قرآن ناطق، فخُلُقه من القرآن، وعلمه ومكرماته من القرآن، أَوَليس القرآن هو آيه الله العظمى فى خلقه، أَوَلم يُيَسِّره ربنا لمن شاء من عباده أن يستقيم عليه؟ أوَيكون ذلك غريباً أن يصبح من تَمَثَّل القرآن فى حياته آيه عظمى لرب العالمين.

والنبى صلى الله عليه واله كان أفضل وأعظم ميزاته، أنه عبد يُوحى إليه، وحين سُئل بعضهم عن خُلُقه العظيم قال:

«كَانَ القُرْآنُ خُلُقَهُ ..» (١)

. وأعظم ميزات الإمام على عليه السلام أن الله قد جعل أُذُنَهُ واعيه للقرآن.

وقد ذَكَّرَنَا الرسولُ بأنه يُخلِّف بعده الثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته، ثم بيّن أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. أوَلا يعنى ذلك أن أهل بيت الرساله عليهم السلام كانوا مشكاه نور القرآن ومعدن خيرات الوحى ومستقر علم الله؟.

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد تمثَّل هذا النور- بكل وجوده- حتى

١- (١) شرح نهج البلاغه، ج ۶، ص ٣۴٠.

جاء فی الحدیث: عَنْ أَبِی ذَکْوَانَ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِیمَ بْنَ الْعَبَّاسِ یَقُولُ:

مَا رَأَیْتُ الرِّضَا علیه السلام سُئِلَ عَنْ شَیْ ءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَهُ، وَلَا رَأَیْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا کَانَ فِی الزَّمَانِ إِلَی وَقْتِهِ وَعَصْرِهِ، وَکَانَ الْمَأْمُونُ یَمْتَحِنُهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ کُلِّ شَیْ ءٍ فَیُجِیبُ فِیهِ، وَکَانَ کَلَامُهُ کُلُّهُ وَجَوَابُهُ وَتَمَثُّلُهُ انْتِزَاعَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَکَانَ یَخْتِمُهُ فِی کُلِّ ثَلَاثٍ وَیَقُولُ: «لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِی أَقْرَبَ مِنْ ثَلَاثَهٍ لَخَتَمْتُ، وَلَکِنِّی مَا مَرَرْتُ بِآیَهٍ قَطُّ إِلَّا فَکَّرْتُ فِیهَا وَفِی أَیِّ شَیْ ءٍ أُنْزِلَتْ وَفِی أَیِّ وَقْتٍ، فَلِذَلِکَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِی کُلِّ ثَلَاثَهِ أَیَّامٍ» (۱)

. ولکن دعنا نعرف کیف تمثَّل إمامنا الرضا علیه السلام القرآن بهذه الدرجه، أَوَیُمکننا أن نتبعه فی ذلک؟

القرآن کتاب الله ومن لا یتصل قلبه بنور الله لا یعرف کتابه، أَوَلَمْ یقل ربنا سبحانه: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ وَلا یَزِیدُ الظَّالِمِینَ إِلَّا خَسَاراً (۲).

وبدرجه الإیمان، وبمستوی الیقین، وبقدر تجلی عظمه الرب فی القلب یستضی ء الإنسان بنور الله الذی تجلَّی به فی کتابه.

والإمام الرضا علیه السلام عظَّم الله ووقَّره، وسلَّم له أمره، واستصغر کل شی ء سواه، واستعد لکل بلاء فی سبیله، وکان کل ذلک وسیلته إلی ربه.

دعنا نلتمس بعض الشواهد علی ما قلنا لا لنزداد بالإمام معرفه فقط، بل لکی تخشع قلوبنا أیضاً بهذه السیره التی تفیض روحاً إلهیًّا وضیاءً.

کان من عبادته علیه السلام أنه إذا صلّی الفجر فی أول وقتها یسجد

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۰.

۲- (۲) سوره الإسراء، الآیه: ۸۲.

لربه فلا يرفع رأسه الى أن ترتفع الشمس (۱).

وعندما كلّف المأمون العباسي وإليه على المدينه بمرافقه الإمام إلى خراسان، سأله- بعد مقدمه إليها- عن أحواله فى الطريق، ففصّل الحديث عن درجات عبادته وذكره وتبتله، فلما قصَّ عليه ذلك أمره بأن يكتم عن الناس ذلك. وكان مما نقله:

كَانَ إِذَا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاهَ، فَإِذَا سَلَّمَ جَلَسَ فِى مُصَلَّاهُ يُسَبِّحُ اللهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيُكَبِّرُهُ وَيُهَلِّلُهُ وَيُصَلِّى عَلَى النَّبِىِّ وَآلِهِ صلى الله عليه واله حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَهً يَبْقَى فِيهَا حَتَّى يَتَعَالَى النَّهَارُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ وَيَعِظُهُمْ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ، ثُمَّ جَدَّدَ وُضُوءَهُ وَعَادَ إِلَى مُصَلَّاهُ ..

وبعد أن يذكر كيفيه صلاته وسجداته ونوافله إلى وقت العصر مما هو معروف فى الفقه، يقول: أَقَامَ وَصَلَّى الْعَصْرَ، فَإِذَا سَلَّمَ جَلَسَ فِى مُصَلَّاهُ يُسَبِّحُ اللهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيُكَبِّرُهُ وَيُهَلِّلُهُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَهً يَقُولُ فِيهَا مِائَهَ مَرَّهٍ «حَمْداً لله».

ثم يذكر كيف كان يُصلِّى بعد غروب الشمس ويسبّح ربه حتى يمضى قريب من ثلث الليل ثم يأوى إلى فراشه، فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه لنافله الليل، واستمر على ذلك حتى يطلع الفجر، ثم يجلس للتعقيب حتى تطلع الشمس، ويسجد حتى يتعالى النهار.

ويضيف: وَكَانَ يُكْثِرُ بِاللَّيْلِ فِى فِرَاشِهِ مِنْ تِلَاوَهِ الْقُرْآنِ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَهٍ فِيهَا ذِكْرُ جَنَّهٍ أَوْ نَارٍ بَكَى وَسَأَلَ اللهَ الْجَنَّهَ وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنَ النَّار» (۲)

. وكان الإمام يرى أن ما له من فضل إنما هو بالتقوى وليس فقط

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۰.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۲- ۹۴.

بالانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه واله بالولاده.

هَكَذَا الْبَيْهَقِيُّ، عَنِ الصَّوْلِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصْرٍ الرَّازِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ لِلرِّضَا عليه السلام: وَاللهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَشْرَفُ مِنْكَ أَباً، فَقَالَ: «التَّقْوَى شَرَّفَتْهُمْ، وَطَاعَهُ اللهِ أَحْظَتْهُم».

فَقَالَ لَهُ آخَرُ: أَنْتَ وَاللهِ خَيْرُ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ: «لَا تَحْلِفْ يَا هَذَا! خَيْرٌ مِنِّي مَنْ كَانَ أَتْقَى لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْوَعَ لَهُ. وَاللهِ مَا نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَهَ آيَهٌ

: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (۱).

وهذا الحديث يُذَكِّرُنَا بما يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَلَايَتِي لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وِلَادَتِي مِنْهُ».

وهكذا أطاع الله بكل جوانب حياته، فأحبه الله ونوّر قلبه بضياء المعرفه وألهمه من العلوم ما ألهمه، وجعله حجه بالغه على خلقه. أَوَلَمْ نقرأ سوره (ص) كيف بيّن فيها ربنا مواهبه لعباده الصالحين، وأنه إنما آتاهم كل تلك المواهب لعبادتهم وإخلاصهم، فقال مثلًا:

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۲). وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَهَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (۳). إلى أن يقول: فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (۲۵) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَهً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (۴).

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۵.

۲- (۲) سوره ص، الآیه: ۱۷.

۳- (۳) سوره ص، الآیه: ۲۰.

۴- (۴) سوره ص، الآیه: ۲۵- ۲۶.

وهكذا أناب الإمام الرضا عليه السلام إلى ربه فوهب الله له ما شاء من الكرامه والعلم.

لقد زهد فى الدنيا واستصغر شأنها، ورفض مغرياتها، فرفع الله الحجاب بينه وبين الحقائق؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئه، وهو حجاب سميك بين الإنسان وبين حقائق الخلق.

يذكر البيهقى عن الصولى:

«كَانَ جُلُوسُ الرِّضَا عليه السلام فِي الصَّيْفِ عَلَى حَصِيرٍ وَفِي الشِّتَاءِ عَلَى مِسْحٍ، وَلُبْسُهُ الْغَلِيظَ مِنَ الثِّيَابِ، حَتَّى إِذَا بَرَزَ لِلنَّاسِ تَزَيَّنَ لَهُمْ» (۱)

. وكان ذلك عندما أقبلت الدنيا عليه فلم يقبلها، وتزيَّنت له فلم يغترّ بها. بل عندما كانت الخلافه العباسيه فى أوج عظمتها وبذخها وترفها وكان الإمام ولى عهد الخليفه فى الظاهر يومئذ عاف الدنيا وشهواتها. هكذا تروى جاريه اسمها عذر فتقول:

«اشْتُرِيتُ مَعَ عِدَّهِ جوَارٍ مِنَ الْكُوفَهِ، وَكُنْتُ مِنْ مُوَلَّدَاتِهَا (كانت مولوده فى الكوفه)، قَالَتْ: فَحُمِلْنَا إِلَى المَأْمُونِ فَكُنَّا فِي دَارِهِ فِي جَنَّهٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالطِّيبِ وَكَثْرَهِ الدَّنَانِيرِ، فَوَهَبَنِى المَأْمُونُ لِلرِّضَا عليه السلام، فَلَمَّا صِرْتُ فِي دَارِهِ فَقَدْتُ جَمِيعَ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَكَانَتْ عَلَيْنَا قَيِّمَهٌ تُنَبِّهُنَا مِنَ اللَّيْلِ وَتَأْخُذُنَا بِالصَّلَاهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ مَا عَلَيْنَا، فَكُنْتُ أَتَمَنَّى الْخُرُوجَ مِنْ دَارِهِ» (۲)

. وأعظم الزهد زهده فى الخلافه بالطريقه التى عرضها عليه المأمون العباسى، فإن من الناس من يزهد فى الدنيا طلباً لما هو أعظم من متاعها. ولا أعظم من الرئاسه فى أعين الإنسان.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۸۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۸۹.

يقول الفضل بن سهل الذى شهد حوار المأمون مع الإمام الرضا فى شأن الخلافه: ما رأيت الملك ذليلًا مثل ذلك اليوم.

يقول المأمون العباسى فيما رُوى منه:

«فَجَهَدْتُ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَأَطْمَعْتُهُ فِى الْخِلَافَهِ وَمَا سِوَاهَا فَمَا أَطْمَعَنِى فِى نَفْسِهِ» (۱)

. السبيل إلى اللَّه:

ومن يُعظِّم الله يُعظِّم أولياءه، ومن يرفض توقير أولياء الله يفقد السبيل الى الله. والإمام الرضا عليه السلام سلك هذا السبيل إلى ربه. ولعمرى إن الشيطان يُزَيِّن للإنسان مخالفه أولياء الله والتكبر عليهم حتى يُضله عن سبيل الله القويم، ويُلقيه فى تيه السبل المتفرقه.

وكلما ازداد الإنسان تسليماً لقيادته الشرعيه، وحبًّا لولى أمره، ولأولياء الله من الأنبياء والأوصياء والصالحين، يزداد من ربه قرباً.

والإمام الرضا عليه السلام كان- كما سائر الأئمه عليهم السلام- أطوع الناس لولى أمره الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فجعله الله حجه من بعده.

يقول الإمام الكاظم:

«عَلِىٌّ ابْنِى أَكْبَرُ وُلْدِى وَأَسْمَعُهُمْ لِقَوْلِى وَأَطْوَعُهُمْ لِأَمْرِى» (۲)

. وقال:

«عَلِىٌّ أَكْبَرُ وُلْدِى وَأَبَرُّهُمْ عِنْدِى وَأَحَبُّهُم» (۳)

. إن بين الإنسان وأولياء الله حجاب من الغرور والكبر، فمن

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۵.
۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۵. وسيأتى الحديث إن شاء الله مفصلًا حول ما جرى بينه عليه السلام وبين المأمون.
۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۴.

خالف هواه وتحدَّى غروره وحارب كبر نفسه، يخرق هذا الحجاب، فيدخل فى حزب الله وينتمى إلى أوليائه ويستقر فى مقامه عند الله. لذلك أكّد القرآن على الكافرين قولهم: أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ (۱).

وقد جاء فى حديث روى عَنِ ابْنِ أَبِى كَثِيرٍ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّىَ مُوسَى عليه السلام وَقَفَ النَّاسُ فِى أَمْرِهِ، فَحَجَجْتُ فِى تِلْكَ السَّنَهِ فَإِذَا أَنَا بِالرِّضَا عليه السلام، فَأَضْمَرْتُ فِى قَلْبِى أَمْراً فَقُلْتُ: أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ الْآيَهَ، فَمَرَّ عليه السلام كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ عَلَىَّ، فَقَالَ:

«أَنَا وَاللهِ الْبَشَرُ الَّذِى يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَّبِعَنِى»، فَقُلْتُ: مَعْذِرَهً إِلَى اللهِ وَإِلَيْكَ فَقَالَ: «مَغْفُورٌ لَكَ» (۲)

. الشجره الطيبه:

كان الرضا عليه السلام من الشجره الطيبه التى أكرمها الله، وبارك لأمه محمد فيها، وقال سبحانه: ذُرِّيَّهً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۳).

ولقد اختار الله يحيى بن زكريا عليهما السلاممللنبوه وآتاه الحكم صبيًّا، بحكمته البالغه وإكراماً لوالده زكريا عليه السلام.

واختار مريم عليها السلام صديقه حينما نذرت امرأه عمران ما فى بطنها محرراً لله.

واختار عيسى ابن مريم عليهما السلام كرامه لوالدته الصديقه فتكلم فى

۱- (۱) سوره القمر، الآيه: ۲۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۸.

۳- (۳) سوره آل عمران، الآيه: ۳۴.

المهد قائلًا: إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتَانِی الْکِتَابَ (۱).

فلماذا نستغرب حینما یَخْتَارُ من أهل بیت محمد صلی الله علیه واله اثنی عشر نقیباً، أئمهً هداهً میامین، بحکمته البالغه وکرامه لأقرب الناس إلی الله سید المرسلین محمد صلی الله علیه واله.

الخلق الکریم:

وقد فاضت من هذه النفس الکریمه تلک الأخلاق الحسنه التی تُحَدِّثُنَا بها کتب التاریخ، أَوَلَیس الطیب دلیل الزهره، والشعاع دلیل الضیاء؟ وهل الإیمان إلَّا الحب، وهل دلیل الحب غیر تلک الأخلاق الحسنه؟

کان علیه السلام فی قمه التواضع وحسن المعاشره مع الناس هکذا ینقل إِبْرَاهِیمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، قَالَ: «مَا رَأَیْتُ الرِّضَا علیه السلام جَفَا أَحَداً بِکَلِمَهٍ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ قَطَعَ عَلَی أَحَدٍ کَلَامَهُ حَتَّی یَفْرُغَ مِنْهُ، وَمَا رَدَّ أَحَداً عَنْ حَاجَهٍ یَقْدِرُ عَلَیْهَا، وَلَا مَدَّ رِجْلَهُ بَیْنَ یَدَیْ جَلِیسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا اتَّکَأَ بَیْنَ یَدَیْ جَلِیسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ شَتَمَ أَحَداً مِنْ مَوَالِیهِ وَمَمَالِیکِهِ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ تَفَلَ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ تَقَهْقَهَ فِی ضَحِکِهِ قَطُّ بَلْ کَانَ ضَحِکُهُ التَّبَسُّم.

وَکَانَ إِذَا خَلَا وَنُصِبَتْ مَائِدَتُهُ أَجْلَسَ مَعَهُ عَلَی مَائِدَتِهِ مَمَالِیکَهُ حَتَّی الْبَوَّابَ وَالسَّائِسَ. وَکَانَ علیه السلام قَلِیلَ النَّوْمِ بِاللَّیْلِ کَثِیرَ السَّهَرِ، یُحْیِی أَکْثَرَ لَیَالِیهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَی الصُّبْحِ. وَکَانَ کَثِیرَ الصِّیَامِ فَلَا یَفُوتُهُ صِیَامُ ثَلَاثَهِ أَیَّامٍ فِی الشَّهْرِ، وَیَقُولُ ذَلِکَ صَوْمُ الدَّهْرِ. وَکَانَ علیه السلام کَثِیرَ الْمَعْرُوفِ وَالصَّدَقَهِ فِی السِّرِّ، وَأَکْثَرُ ذَلِکَ یَکُونُ مِنْهُ فِی اللَّیَالِی الْمُظْلِمَهِ.

۱- (۱) سوره مریم، الآیه: ۳۰.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى مِثْلَهُ فِی فَضْلِهِ فَلَا تُصَدِّقُوه» (۱)

. وکان من تواضعه علیه السلام:

«أنه دَخَلَ الْحَمَّامَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: دَلِّکْنِی، فَجَعَلَ یُدَلِّکُهُ، فَعَرَّفُوهُ فَجَعَلَ الرَّجُلُ یَسْتَعْذِرُ مِنْهُ، وَهُوَ یُطَیِّبُ قَلْبَهُ وَیُدَلِّکُه ...» (۲)

. ویروی رجل من أهل بلخ رافق الإمام فی سفره إلی خراسان ویقول:

«دَعَا یَوْماً بِمَائِدَهٍ لَهُ فَجَمَعَ عَلَیْهَا مَوَالِیهُ مِنَ السُّودَانِ وَغَیْرِهِمْ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! لَوْ عَزَلْتَ لِهَؤُلَاءِ مَائِدَهً، فَقَالَ: مَهْ، إِنَّ الرَّبَّ تَبَارَکَ وَتَعَالَی وَاحِدٌ، وَالْأُمَّ وَاحِدَهٌ، وَالْأَبَ وَاحِدٌ، وَالجَزَاءَ بِالْأَعْمَال» (۳)

. وکان یکره لغلمانه أن یقوموا له احتراماً عندما یکونون علی الطعام ویقول:

«إِنْ قُمْتُ عَلَی رُؤُوسِکُمْ وَأَنْتُمْ تَأْکُلُونَ فَلَا تَقُومُوا حتیَّ تفرُغُوا» (۴)

. وکان عظیم الحلم والعفو. ویذکر من حلمه أن قائداً من أتباع بنی العباس یسمی ب- (الجلودی) أمره هارون الرشید بأن یذهب إلی المدینه ویسلب نساء آل أبی طالب، ولا یدع علی کل واحده منهن إلَّا ثوباً واحداً، ففعل الرجل، مما أثار سخطاً عظیماً عند الإمام الرضا علیه السلام، ولکن بعد أن عُهِدَ إلی الإمام الرضا بولایه العهد عارض ذلک الجلودی ونقم من بیعه الإمام، فغضب علیه المأمون، وأخرجه یوماً لیقتله من بعد أن قتل اثنین قبله، فلما تمثل أمامه شفع له الإمام الرضا عند المأمون، وقال:

«یَا أَمِیرَ المُؤْمِنِینَ هَبْ لِی هَذَا الشَّیْخ».

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۹.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۱.

۴- (۴) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۲.

فظن الجلودى أنه يُعين عليه، فأقسم على المأمون ألَّا يقبل قوله. فَقَالَ المَأْمُون: لا وَاللهِ لَا أَقْبَلُ فِيك، وأَمَرَ بضرب عُنُقُهُ (۱)

. وكان سخياً كريماً.

وكان من آدابه فى الصدقات أنه إذا جلس للأكل أُتِىَ بِصَحْفَهٍ فَتُوضَعُ قُرْبَ مَائِدَتِهِ فَيَعْمِدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَىْ ءٍ شَيْئاً، فَيُوضَعُ فِى تِلْكَ الصَّحْفَهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا لِلْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَه:

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ (۲)، ثُمَّ يَقُولُ:

«عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَقْدِرُ عَلَى عِتْقِ رَقَبَهٍ فَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الجَنَّهِ بِإِطْعَامِ الطَّعَام (عبر الإطعام)» (۳)

. وَفَرَّقَ عليه السلام بِخُرَاسَانَ مَالَهُ كُلَّهُ فِى يَوْمِ عَرَفَهَ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ: إِنَّ هَذَا لَمَغْرَمٌ، فَقَالَ عليه السلام:

«بَلْ هُوَ المَغْنَمُ، لَا تَعُدَّنَّ مَغْرَماً مَا ابْتَغَتْ بِهِ أَجْراً وَكَرَماً» (۴)

. وكان إذا أعطى أحداً سعى ألَّا يذهب بهاؤه ولا يُراق ماء وجهه. والقصه التاليه تعلمنا كيف نجعل صدقاتنا خالصه لوجه الله لا منّه فيها ولا استعلاء.

يروى الْيَسَعِ بْنِ حَمْزَهَ وَيَقُوْلُ: «كُنْتُ أَنَا فِى مَجْلِسِ أَبِى الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام أُحَدِّثُهُ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طُوَالٌ آدِمٌ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، رَجُلٌ مِنْ مُحِبِّيكَ وَمُحِبِّى آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ عليهم السلام، مَصْدَرِى مِنَ الْحَجِّ وَقَدِ افْتَقَدْتُ

۱- (۱) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ۱۰۸ سيره الرضا.

۲- (۲) سوره البلد، الآيه: ۱۱.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۷.

۴- (۴) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۰.

نَفَقَتِی وَمَا مَعِی مَا أَبْلُغُ بِهِ مَرْحَلَهً، فَإِنْ رَأَیْتَ أَنْ تُنْهِضَنِی إِلَی بَلَدِی وَلله عَلَیَّ نِعْمَهٌ، فَإِذَا بَلَغْتُ بَلَدِی تَصَدَّقْتُ بِالَّذِی تُولِینِی عَنْکَ فَلَسْتُ مَوْضِعَ صَدَقَهٍ، فَقَالَ لَهُ: «اجْلِسْ رَحِمَکَ اللهُ»، وَأَقْبَلَ عَلَی النَّاسِ یُحَدِّثُهُمْ حَتَّی تَفَرَّقُوا وَبَقِیَ هُوَ وَسُلَیْمَانُ الْجَعْفَرِیُّ وَخَیْثَمَهُ وَأَنَا، فَقَالَ: «أَتَأْذَنُونَ لِی فِی الدُّخُولِ؟» فَقَالَ لَهُ: سُلَیْمَانُ قَدَّمَ اللهُ أَمْرَکَ، فَقَامَ فَدَخَلَ الْحُجْرَهَ وَبَقِیَ سَاعَهً ثُمَّ خَرَجَ وَرَدَّ الْبَابَ وَأَخْرَجَ یَدَهُ مِنْ أَعْلَی الْبَابِ وَقَالَ: «أَیْنَ الْخُرَاسَانِیُّ؟» فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ الْمِائَتَیْ دِینَارٍ وَاسْتَعِنْ بِهَا فِی مَؤُونَتِکَ وَنَفَقَتِکَ، وَتَبَرَّکْ بِهَا، وَلَا تَصَدَّقْ بِهَا عَنِّی، وَاخْرُجْ فَلَا أَرَاکَ وَلَا تَرَانِی».

ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ سُلَیْمَانُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ لَقَدْ أَجْزَلْتَ وَرَحِمْتَ، فَلِمَاذَا سَتَرْتَ وَجْهَکَ عَنْهُ؟ فَقَالَ:

«مَخَافَهَ أَنْ أَرَی ذُلَّ السُّؤَالِ فِی وَجْهِهِ لِقَضَائِی حَاجَتَهُ. أَمَا سَمِعْتَ حَدِیثَ رَسُولِ اللهِ صلی الله علیه واله: «الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَهِ تَعْدِلُ سَبْعِینَ حِجَّهً، وَالْمُذِیعُ بِالسَّیِّئَهِ مَخْذُولٌ، وَالْمُسْتَتِرُ بِهَا مَغْفُورٌ لَهُ»، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأَوَّلِ:

مَّتَی آتِهِ یَوْماً لِأَطْلُبَ حَاجَهً رَجَعْتُ إِلَی أَهْلِی وَوَجْهِی بِمَائِهِ»

(۱)

وقد أعطی أبا نواس ثلاثمائه درهم لم یکن عنده سواها، وقدّم إلیه بغلته التی کان یمتطیها. وحینما أعطی دعبل الخزاعی ستمائه دینار اعتذر إلیه.

وکان کثیر الصدقه فی السر، وأکثرها کان فی اللیالی المظلمه (۲). وکان علیه السلام مکتمل الجسم عظیم الهیبه. وکأیِّن من ذی حاجه دخل

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۰.

عليه ليطلبها منه فشغله جلاله وهيبته عنها فبادره الإمام بقضائها، وسنذكر جانباً من ذلك عن بيان علمه.

هكذا أفاض الإمام علمه:

أربعه من أئمه الهدى تسنَّى لهم نشر معارف الإسلام فى الآفاق. أولهم الإمام أمير المؤمنين وآخرهم الإمام الرضا والصادقان محمد بن على وجعفر بن محمد عليهم السلام.

وبالرغم من أن جميع أئمه الهدى نشروا العلم، إلَّا أن الظروف ساعدت هؤلاء الأربعه على ذلك أكثر من الآخرين.

ولقد سبق الحديث- ببعض التفصيل- عن علم الأئمه ومصادره المتنوعه فيما سردته من حياه الإمام الباقر عليه السلام فنكتفى بذلك، وإنما نشير إلى آفاق العلم التى تناولتها أحاديث الإمام الرضا عليه السلام. ونُقِلَ عن اليقطينى أنه قال:

«لَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِى أَمْرِ أَبِى الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام جَمَعْتُ مِنْ مَسَائِلِهِ مِمَّا سُئِلَ عَنْهُ وَأَجَابَ عَنْهُ خَمْسَ عَشَرَهَ أَلْفَ مَسْأَلَه» (١).

ولقد قال الإمام عليه السلام مره: «كُنْتُ أَجْلِسُ فِى الرَّوْضَهِ وَالْعُلَمَاءُ بِالمَدِينَهِ مُتَوَافِرُونَ، فَإِذَا أَعْيَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَهٍ أَشَارُوا إِلَىَّ بِأَجْمَعِهِمْ وَبَعَثُوا إِلَىَّ بِالمَسَائِلِ، فَأُجِيبُ عَنْهَا» (٢)

. وقد بدأ بالفتيا فى مسجد الرسول صلى الله عليه واله، وعمره الشريف نيف وعشرون عاماً.

١- (١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٩٧.

٢- (٢) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٠٠.

ولنعرف دور الإمام الرضا فى هذا الحقل لابد أن نعود قليلًا إلى الوراء، لنعرف أن الحزب العباسى الذى تسلَّط على رقاب المسلمين بعد الفراغ السياسى الذى أحدثه غياب السلطه الأمويه قد وجد نفسه أمام تيارات سياسيه معارضه، تعتمد على الفكر، وتتسلَّح بالنظريات الثقافيه، وفى طليعتها التيار العلوى الذى كان يقود المعارضه السياسيه إلى جنب قياده الساحه الفكريه، والحزب العباسى الذى كان يعيش خواءً نظريًّا قاتلًا لم يجد حيلةً إلَّا البحث عن مصادر خارجيه للثقافه، فشجع حركه الترجمه وتوجَّه إلى الكتب الفلسفيه قبل الكتب العلميه، وبنشاط هذه الحركه حدث فى الأمه اضطراب فكرى وتوتر ثقافى مما أضحى يهدد وحده الأمه.

وكانت عوامل شتى تساهم فى هذا الخطر:

اولًا: انشغال المفكرين بالقضايا السياسيه.

ثانياً: ازدياد الاضطراب السياسى، والحروب الداخليه التى تجر بطبيعتها الأمه إلى المزيد من التوتر الفكرى.

ثالثاً: وجود تيارات غريبه عن الأمه كان هدفها إفساد ثقافه المجتمع ومحاربه الإسلام باسم الإسلام، والتى كانت تغذيها حركات سياسيه متصله بالكفار.

وفى عهد المأمون العباسى بلغ الاضطراب الفكرى قمته مما دفع الإمام الرضا عليه السلام إلى التصدى لها.

وقد ساعده فى ذلك انتقاله إلى حاضره البلاد الإسلاميه، وقبوله لولايه العهد؛ مما جعله فى قلب الصراعات الفكريه.

وهكذا كثرت حواراته مع سائر الملل والمذاهب، مما حدا بعلمائنا الكرام إفراد كتب حول ما رُوى عنه عليه السلام، مثل ما فعل الصدوق رحمه الله

فی کتابه عیون أخبار الرضا.

وحینما نتدبر فی کلمات الإمام الرضا وحججه التی ألقاها علی خصوم الإسلام أو مخالفی المذهب؛ نراها تتسم بمنهجیه علمیه عمیقه. مما یدل علی مستوی الثقافه فی عصره لأن الأئمه- کالأنبیاء علیهم السلام- إنما یُکلمون الناس علی قدر عقولهم، وبمستوی أفکارهم.

کذلک نستوحی من التأمل فی کلماته أنها کانت تصدُّ تشکیکات یبثها الأعداء حول الإسلام وبالذات حول عقلانیه أحکامه، من هنا کثر حدیثه عن علل الشرائع، والحِکَم التی وراء أحکام الدین. کما أن طائفه من کلماته المضیئه تُعالج الشؤون الحیاتیه مثل رسالته الطبیه المعروفه بطب الرضا علیه السلام.

ومما یُمیِّز حیاه الإمام الرضا علیه السلام العلمیه أن کلماته کانت تلقی قبولًا فی کافه الأوساط الإسلامیه، ولعل وروده علی مدینه نیسابور- التی کانت من الحواضر العلمیه فی العالم الإسلامی- أظهر مدی اهتمام علماء الإسلام بأحادیث الإمام علیه السلام. دعنا نستمع إلی هذه القصه الطریفه:

«لَمَّا دَخَلَ إِلَی نَیْسَابُورَ فِی السَّفَرَهِ الَّتِی فَازَ فِیهَا بِفَضِیلَهِ الشَّهَادَه، کَانَ فِی مَهْدٍ عَلَی بَغْلَهٍ شَهْبَاءَ عَلَیْهَا مَرْکَبٌ مِنْ فِضَّهٍ خَالِصَهٍ، فَعَرَضَ لَهُ فِی السُّوقِ الْإِمَامَانِ الْحَافِظَانِ لِلْأَحَادِیثِ النَّبَوِیَّهِ أَبُو زُرْعَهَ وَمُحَمَّدُبْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِیُّ رَحِمَهُمَا اللهُ، فَقَالَا: أَیُّهَا السَّیِّدُ ابْنَ السَّادَه، أَیُّهَا الْإِمَامُ وَابْنَ الْأَئِمَّهِ، أَیُّهَا السُّلَالَهُ الطَّاهِرَهُ الرَّضِیَّهُ، أَیُّهَا الْخُلَاصَهُ الزَّاکِیَهُ النَّبَوِیَّهُ؛ بِحَقِّ آبَائِکَ الْأَطْهَرِینَ، وَأَسْلَافِکَ الْأَکْرَمِینَ؛ إِلَّا أَرَیْتَنَا وَجْهَکَ الْمُبَارَکَ الْمَیْمُونَ، وَرَوَیْتَ لَنَا حَدِیثاً عَنْ آبَائِکَ عَنْ جَدِّکَ نَذْکُرُکَ بِهِ.

فَاسْتَوْقَفَ الْبَغْلَةَ وَرَفَعَ المَظَلَّةَ وَأَقَرَّ عُيُونَ المُسْلِمِينَ بِطَلْعَتِهِ المُبَارَكَهِ المَيْمُونَه، فَكَانَتْ ذُؤَابَتَاهُ كَذُؤَابَتَىْ رَسُولِ الله صلى الله عليه واله، فَقَالَ عليه السلام: حَدَّثَنِى أَبِى مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاظِمُ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى جَعْفَرُبْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى مُحَمَّدُ بْنُ عَلِىٍّ الْبَاقِرُ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى عَلِىُّ بْنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى الحُسَيْنُ بْنُ عَلِىٍّ شَهِيدُ أَرْضِ كَرْبَلَاءَ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَبِى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ شَهِيدُ أَرْضِ الْكُوفَهِ، قَالَ: حَدَّثَنِى أَخِى وَابْنُ عَمِّى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه واله، قَالَ: حَدَّثَنِى جَبْرَئِيلُ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُ رَبَّ الْعِزَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ:

«كَلِمَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِى فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِى وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى».

ص: ۱۴۹۱۲۵

.ص: ۳۰

الفصل الثَّانى: الإِمَامُ وَعَصْرُهُ

ص: ٣٢

عاش الإمام الرضا عليه السلام عصرين مختلفين، وكان عهد هارون الرشيد من أقسى العهود على آل البيت، حيث قرأنا عما فى سيره الإمام الكاظم عليه السلام كيف ضيّق العباسيون على شيعه أهل البيت، وكيف آذوا الإمام وهجّروه عن دار أمنه عند قبر جده إلى البصره، ثم إلى بغداد حيث وضعوه إما تحت الإقامه الجبريه، وإما فى قعر السجون المظلمه حتى دسُّوا له السم، فمات شهيداً مظلوماً.

وخلال السنين الأربع الأولى من عهد إمامته تجرَّع الإمام كوالده غصص الألم. وهناك قصتان تعكسان طبيعه هذه الغصص:

١- يروى أبو الصلت الهروى

: «كَانَ الرِّضَا عليه السلام ذَاتَ يَوْمٍ جَالِساً فِي مَنْزِلِهِ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَامَ عليه السلام فَقَالَ لِي: «يَا أَبَا الصَّلْتِ! إِنَّهُ لَا يَدْعُونِي فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا لِدَاهِيَهٍ، فَوَاللهِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْمَلَ بِي شَيْئاً أَكْرَهُهُ لِكَلِمَاتٍ وَقَعَتْ إِلَيَّ مِنْ جَدِّي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه واله».

قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الرِّضَا عليه السلام قَرَأَ هَذَا الْحِرْزَ (وذكره)، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِ هَارُونُ الرَّشِيدُ وَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمِائَهِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَاكْتُبْ حَوَائِجَ أَهْلِكَ. فَلَمَّا وَلَّى عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى عليه السلام وَهَارُونُ يَنْظُرُ

إِلَيْهِ فِی قَفَاهُ، قَالَ: «أَرَدْتَ وَأَرَادَ اللّٰه وَمَا أَرَادَ اللّٰه خَيْرٌ» (۱)

. وقد أشار يحيى البرمكى على هارون بقتل الإمام الرضا كما أشار غيره بذلك فاستعظم الأمر، وقال:

«مَا تَرَى؟! تُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ كُلَّهُم»

. ۲- والقصه الثانيه تلك التى رويناها سابقاً عن دخول الجلودى على الإمام وسلبه أهله. حتى هلك هارون، وشب الخلاف بين ورثته بدأ الإمام نشاطه بقدر من الحريه النسبيه.

لقد وصّى هارون لثلاثه من أبنائه بولايه العهد وهم: الأمين والمأمون والمؤتمن بالترتيب، ولمعرفته بميول العباسيين إلى الأمين الذى كانت والدته زبيده ترعاه، خشى على المأمون الذى كان يرى فيه كفاءه أكثر لإداره البلاد فمنحه بعض المناصب فى الدوله.

وكان الفُرس- الذين كانوا لا يزالون مُتنفِّذين فى الدوله العباسيه بالرغم من نكبه البرامكه- يميلون نحو المأمون؛ لأن أمه منهم، ولأنه تربَّى فى أحضانهم.

من هنا كانت سُحُب الفتنه تتجمع فى سماء الأمه، وكان هلاك هارون الرشيد فى خراسان فى وقت مبكر وقبل أن يرتب أوضاع البلاد، فعجَّل ذلك فى اشتعال نار الفتنه، كما أن مرافقه المأمون لوالده- التى جاءت، حسب بعض الروايات، بإشاره من فضل بن سهل- ساهمت فيها.

لقد سارع الأمين- وربما بإشاره من بعض قواده العباسيين- فى خلع أخيه ونصب ابنه وليًّا للعهد، وكان من الطبيعى أن يرفض المأمون ذلك مما حدا بالأمين إلى بعث بعض قواده ليأتون به مغلولًا.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۶.

وقد شجَّع المأمون بعض قاده جيشه ولا سيما من هم من الفرس على التمرُّد، ففعل وانتهى الأمر إلى الحرب بين الأخوين التى انتهت بخلع الأمين واستتب الأمر لأخيه.

وكانت هذه الحرب أول حرب بين العباسيين، ومن أسوأ الحروب الداخليه بين المسلمين. مما زعزع الثقه بالنظام السياسى عند الجماهير وشجَّع المعارضه على الثوره، فإذا بأطراف البلاد تنتفض وتخلع الحاكم وتبايع واحداً من العلويين.

وكانت أخطر وأعظم هذه الثورات حركه أبى السرايا فى الكوفه التى قادها السَّرِىُّ بن منصور، وعقدت لواء الزعامه لواحد من أبناء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام واسمه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل.

وانتشرت هذه حتى شملت الكوفه والواسط والبصره والحجاز واليمن. ووقعت بينها وبين جيوش بنى العباس معارك طاحنه لم يظفر العباسيون بها إلَّا بالحيله والمكر (١).

وفى مكه المكرمه ثار محمد ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبُويع بالخلافه ولقب ب- (أمير المؤمنين).

وكانت هناك ثورات أخرى فى بلاد الشام والمغرب وكلها تدل على اضطراب الوضع السياسى، حتى أن الناس لم يبايعوا المأمون إلَّا بعد أن استتب الأمر له وعاد إلى بغداد، وبعد حروب أكلت مئات الألوف من المسلمين.

وكان عصر المأمون يتميز- كما أشرنا سابقاً- بتنامى التيارات الفكريه الغريبه التى كان من شأنها زعزعه النظام الثقافى للأمه، وكانت

١- (١) راجع: التاريخ الإسلامى .. دروس وعبر (للمؤلف)، ص ٢٩٠- ٢٩٦.

نتيجه طبيعيه لحركه الترجمه التى شجّعها العباسيون من دون رؤيه.

كما أن الثقه عند قيادات الجيش الذى يمثل العماد الأصلى للنظام كادت تنهار، حتى قال هرثمه بن حازم (أحد قيادات العسكر) للمأمون:

«يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك، ولن يغشك من صدقك، لا تُجرِّئ القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك» (١).

ولعلنا نضيف إلى كل ذلك حاله المجون والترف التى اشتهرت بين رجال الدوله وبطانتهم، والتى كان يشجعها النظام لإلهائهم عن الحقائق المره التى يعيشها المسلمون. وإذا كان آل (برمك) بالأمس أبطال هذا الميدان، فإن آل (سهل) خلفوهم فيه، وما يذكره بعض المؤرخين عن زواج الخليفه ب- (بوران) وما رافقه من مظاهر البذخ والترف شاهد على ذلك.

الإمام الرضا يتحدى الفساد:

حينما نتدبر فى سوره هود أو سائر السور القرآنيه التى تقص علينا رساله الأنبياء السابقين عليهم السلام نجد أنهم يتحدون الفساد بكل ألوانه، وبالذات الفساد الذى كان مستشرياً فى قومهم، ويعتبرون كل فساد سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى أو فكرى ينتهى إلى الضلاله أو الشرك أو الكفر، وكانوا عليهم السلام يُذكِّرون الناس بالله ويحذِّرونهم عذابه فى الدنيا وعقابه فى الآخره، لأن هذا هو السبيل لإصلاح الإنسان وردعه عن الفساد بكل ألوانه.

١- (١) تاريخ المسعودى، ج ٣، ص ٣٨٩.

وسار الأئمه عليهم السلام على طريق الأنبياء، حاربوا كل ألوان الفساد، بالوسيله ذاتها، والإمام الرضا عليه السلام كأجداده قاد المخلصين من أبناء الأمه فى هذا السبيل وتحمل الأذى فى سبيل الله.

لقد رفض الاعتراف بالسلطه الجاهليه التى بناها العباسيون باسم الإسلام، واعتبرها سلطه غاصبه ظالمه فاسده جملةً وتفصيلًا.

وناهض التيارات الفكريه المخالفه لأصول الشريعه، وقاوم الفساد الخلقى فى الأمه وذلك بنشر تعاليم الدين الحنيف.

ولم يكن الإمام وحده فى مواجهه ذلك الفساد العريض، بل كانت صفوه الأمه وخيره العلماء والحكماء والقاده المخلصين، وهم شيعه أهل البيت عليهم السلام، يتبعونه فى ذلك.

وقد قرأنا معاً كيف وبأى أسلوب كان الأئمه يقودون الأمه، ولكن هنا ينبغى أن نتحدث قليلًا عما أثار التساؤل عند المؤرخين، وهى نقطةٌ مضيئةٌ- فى رأينا- تلمع فى حياه الإمام الرضا عليه السلام، ومنعطف أساسى فى حركه الشيعه، وهى قبول الإمام عليه السلام بولايه عهد المأمون.

وقبل كل شى ء نتساءل عن الأسباب التى دفعت الخليفه العباسى للإقدام على هذه الخطوه الجريئه.

المأمون يتقرب للإمام:

والمأمون الذى ولد من أمٍّ فارسيه، وتربَّى فى حجر المؤيدين للبيت العلوى، وعرف الكثير من تاريخ الإسلام وتبحَّر فى علم الكلام، هل كان شيعيًّا فعلًا؟ وهل كان عهده إلى الإمام الرضا عليه السلام بدافع سليم، ثم انقلب عن ذلك ودسَّ السم إلى الإمام لأن الملك- كما قال والده هارون له يوماً- عقيم وأنه لو نازعه فيه لأخذ الذى فيه عيناه؟

أم كانت خطه دبرها الفضل بن سهل وغيره من بطانته ووقع فيها من دون التفات، ثم عاد عنها وقتل الفضل غيله فى الحمام وقضى على الإمام بالسم؟

أم أنها كانت خطته اشترك فيها هو وغيره من القاده، وكانت مجرد لعبه سياسيه؟

كل ذلك ممكن! ولم أجد فيما اطلعت عليه من التاريخ ما يدل على واحد من الاحتمالات بالتأكيد، على أنى أميل إلى الاعتراف بكل العوامل التاريخيه، وآخذها بعين الاعتبار عند تفسير ظاهره معينه، لأن مثل هذه العوامل تتفاعل مع بعضها فى حياتنا وتصنع من حيث المجموع حياتنا الحاضره، فلماذا لا نعتقد أن الماضى كالحاضر تصنعه كل العوامل المؤثره فى حياه البشر؟

من هنا أميل إلى الرأى التالى: أن كلًّا من خلفيه المأمون الثقافيه، والظروف السياسيه، ورأى بطانته، أثَّرت فى الإقدام على هذه الخطوه الجريئه، ولولا واحده منها لم يقدم.

وهذا يعنى أن انقلاب المأمون على الإمام الرضا عليه السلام جاء بعد تحول الظروف السياسيه، وأن الرجل لم يكن شيعيًّا بالمعنى الحقيقى للكلمه، وهو اتِّباع أهل البيت عليهم السلام، والتعبد لله فى طاعتهم، إنما كان متأثراً ببعض الأفكار الشيعيه كتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على غيره من الخلفاء، والاعتقاد بخيانه معاويه، وبأن القرآن كتاب محدث وما أشبه.

إلَّا أن ذلك لا يجعل الفرد شيعيًّا فى نظر الأئمه عليهم السلام، وهو بالتالى كان صاحب سلطه يبحث عنها أكثر مما يبحث عن المبادئ والقيم.

ولعل والده هارون كان يشير إلى ابنه وإلى خواصّ أهل بيته كما

يشير الطغاه عاده إلى بطانتهم من الاعتراف بحق معارضيهم، وذلك عندما تستيقظ ضمائرهم ولو لفتره محدوده. وهكذا يروى المأمون أنه إنما تشيّع على يد والده.

وقد أسرّ المأمون إلى بعض خواصه بالسبب الذى دعاه إلى هذا الأمر، فعَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ: «أَكْثَرَ النَّاسُ فِي بَيْعَهِ الرِّضَا عليه السلام مِنَ الْقُوَّادِ وَالْعَامَّهِ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ تَدْبِيرِ الْفَضْلِبْنِ سَهْلٍ ذِى الرِّئَاسَتَيْنِ، فَبَلَغَ المَأْمُونَ ذَلِكَ فَبَعَثَ إِلَيَّ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَيَّانُ! بَلَغَنِى أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ بَيْعَهَ الرِّضَا عليه السلام كَانَتْ مِنْ تَدْبِيرِ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: وَيْحَكَ يَا رَيَّانُ! أَيَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَجِيءَ إِلَى خَلِيفَهٍ قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ الرَّعِيَّهُ وَالْقُوَّادُ وَاسْتَوَتْ لَهُ الْخِلَافَهُ فَيَقُولَ لَهُ: ادْفَعِ الْخِلَافَهَ مِنْ يَدِكَ إِلَى غَيْرِكَ، أَيَجُوزُ هَذَا فِي الْعَقْلِ؟ قُلْتُ لَهُ: لَا وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَجْسُرُ عَلَى هَذَا أَحَدٌ، قَالَ: لَا وَاللهِ مَا كَانَ كَمَا يَقُولُونَ، وَلَكِنْ سَأُخْبِرُكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

أَنَّهُ لَمَّا كَتَبَ إِلَيَّ مُحَمَّدٌ أَخِي يَأْمُرُنِى بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، عَقَدَ لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَيِّدَنِى بِقَيْدٍ وَيَجْعَلَ الْجَامِعَهَ فِي عُنُقِى، فَوَرَدَ عَلَيَّ بِذَلِكَ الْخَبَرِ وَبَعَثْتُ هَرْثَمَهَ بْنَ أَعْيَنَ إِلَى سِجِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَمَا وَالَاهُمَا، فَأَفْسَدَ عَلَيَّ أَمْرِى وَانْهَزَمَ هَرْثَمَهُ، وَخَرَجَ صَاحِبُ السَّرِيرِ وَغَلَبَ عَلَى كُوَرِ خُرَاسَانَ مِنْ نَاحِيَتِهِ، فَوَرَدَ عَلَيَّ هَذَا كُلُّهُ فِي أُسْبُوعٍ.

فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَيَّ لَمْ يَكُنْ لِي قُوَّهٌ بِذَلِكَ، وَلَمَا كَانَ لِي مَالٌ أَتَقَوَّى بِهِ، وَرَأَيْتُ مِنْ قُوَّادِى وَرَجَالِى الْفَشَلَ وَالْجُبْنَ أَرَدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِمَلِكِ كَابُلَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِى: مَلِكُ كَابُلَ رَجُلٌ كَافِرٌ وَيَبْذُلُ مُحَمَّدٌ لَهُ الْأَمْوَالَ فَيَدْفَعُنِى إِلَى يَدِهِ، فَلَمْ أَجِدْ وَجْهاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أَتُوبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَ

مِنْ ذُنُوبِی وَأَسْتَعِینَ بِهِ عَلَی هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَسْتَجِیرَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَرْتُ بِهَذَا الْبَیْتِ- وَأَشَارَ إِلَی بَیْتٍ- تُکْنَسُ وَصَبَبْتُ عَلَیَّ الْمَاءَ، وَلَبِسْتُ ثَوْبَیْنِ أَبْیَضَیْنِ، وَصَلَّیْتُ أَرْبَعَ رَکَعَاتٍ قَرَأْتُ فِیهَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا حَضَرَنِی، وَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَجَرْتُ بِهِ وَعَاهَدْتُهُ عَهْداً وَثِیقاً بِنِیَّةٍ صَادِقَةٍ، إِنْ أَفْضَی اللهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَیَّ وَکَفَانِی عَادِیَتَهُ وَهَذِهِ الْأُمُورَ الْغَلِیظَةَ أَنْ أَضَعَ هَذَا الْأَمْرَ فِی مَوْضِعِهِ الَّذِی وَضَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِیه.

ثُمَّ قَوِیَ فِیهِ قَلْبِی، فَبَعَثْتُ طَاهِراً إِلَی عَلِیِّ بْنِ عِیسَی بْنِ مَاهَانَ فَکَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا کَانَ، وَرَدَدْتُ هَرْثَمَةَ إِلَی رَافِعِ بْنِ أَعْیَنَ فَظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَبَعَثْتُ إِلَی صَاحِبِ السَّرِیرِ فَهَادَنْتُهُ وَبَذَلْتُ لَهُ شَیْئاً حَتَّی رَجَعَ، فَلَمْ یَزَلْ أَمْرِی یَقْوَی حَتَّی کَانَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ مَا کَانَ، وَأَفْضَی اللهُ إِلَیَّ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتَوَی لِی.

فَلَمَّا وَافَی اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِی بِمَا عَاهَدْتُهُ عَلَیْهِ أَحْبَبْتُ أَنْ أَفِیَ لِلهِ تَعَالَی بِمَا عَاهَدْتُهُ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا علیه السلام فَوَضَعْتُهَا فِیهِ، فَلَمْ یَقْبَلْهَا إِلَّا عَلَی مَا قَدْ عَلِمْتَ فَهَذَا کَانَ سَبَبَهَا» (۱)

. ولعل هذا السبب کان أیضاً من الدواعی المساعده إلَّا أن أبرز العوامل التی دفعته إلی ذلک کانت الظروف السیاسیه التی أشرنا إلیها حیث کانت علاقته بالعباسیین سیئه لقتله أخاه أمیناً، کما أن القیادات العربیه لم تکن راضیه عنه بسبب تفضیله الصارخ للقیادات الفارسیه، أما أنصار البیت العلوی فقد رأوا ووجدوا الفرصه مؤاتیه للانتقام من السلطه العباسیه الغاشمه، وانتفضوا فی کل مصر. فماذا بقی له من فرص الاستمرار فی السلطه؟

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۳۷- ۱۳۸.

ولكن محصله خطط المأمون، والأقدار التى أجرت الرياح فى اتجاهه كانت التاليه:

١- اكتساب ود أنصار البيت العلوى باستقدام الإمام الرضا عليه السلام لولايه عهده.

٢- تصفيه لكثير من الثورات بالأعمال العسكريه وبقدر من السماحه والعطاء.

٣- الالتفاف على العباسيين واكتساب ودّهم والعوده إلى خطهم، بعد تصفيه الفضل بن سهل، وشهاده الإمام الرضا عليه السلام.

وهكذا تسنى للمأمون أن يستمر فى الحكم وأن يحافظ على العرش العباسى من بعده.

الإمام يستجيب للتحدّى:

لماذا قبل الإمام الرضا عليه السلام ولايه عهد المأمون، وإذا كان مضطراً إلى ذلك فكيف استجاب لتحديه؟

قبل أن نجيب عن هـذا السؤال لابـد أن نُلقى نظره إلى واقع الحركه الرساليه عنـدما تولى الرضا مركز الإمامه من بعد والده الإمام الكاظم عليهما السلام.

فى حديث شـريف: كان من المقدر أن يكون الإمام موسـى بن جعفر هو قائم آل محمد صـلى الله عليه واله إلَّا أن الشـيعه أذاعوا الأمر فبدا لله فتأخر إلى أجل غير مسمى.

وهـذا يعنى أن الحركه الرساليه كادت تبلغ يومئـذ إلى مسـتوى التصدى لشؤون الأمه. وبالرغم من أن الإمام الكاظم عليه السـلام قضى نحبه فى سجن هارون مسموماً، إلَّا أن الحركه لم تُصَبْ بأذى كثير كما نستفيد ذلك من حديث شريف.

وهكذا كانت إمامه الإمام الرضا عليه السلام واحده من فرصتين:

الأولى: القيام بحركه مسلحه قد تنتهى إلى دمار الحركه.

الثانيه: الاستجابه لتحدى المأمون بقبول ولايه العهد للعمل من خلال السلطه دون إعطاء شرعيه لها، كما فعل النبى يوسف حينما طلب من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض، ثم قام بما استطاع إليه سبيلًا، من الإصلاح من داخل النظام.

وكما فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الذين سبقوه عندما قبل بالدخول فى الشورى واحداً من سته أعضاء.

وأقل ما فى هذه الفرصه الثانيه أنها تشكل حمايه للحركه الرساليه من التصفيه، والقبول بها حركةً معارضةً رسميةً.

وهكذا نعرف أن الإمام لم يترك قيادته للحركه الرساليه، بل استفاد من مركزه الجديد، كما استفاد الشيعه لدعم مسيره حركتهم الرساليه التى فرضت نفسها على النظام فرضاً.

ولتحقيق هذه الغايات اتبع الإمام عليه السلام النهج التالى:

أولًا: امتنع عن قبول الخلافه التى عرضها عليه المأمون أولًا، ولعل السبب فى رفض الخلافه كان أمرين:

ألف: إن تلك الخلافه كانت ثوباً خاصاً بأمثال المأمون، وإنها لا تليق بحجه الله البالغه، لأن بناءها كان قائماً على أساس فاسد، جيشها ونظامها وقوانينها وكل شى ء فيها، ولو قبل الإمام بها كان عليه أن يهدمها ويبنيها من جديد ولم يكن ذلك أمراً ممكناً فى تلك الظروف.

باء: إن المأمون لم يكن صادقاً فى عرضه، فهو كان يدبر حيله مع حزبه الماكر للإيقاع بالإمام إن قبل، بعد أخذ الشرعيه منه، كما فعل بالنسبه إلى ولايه العهد.

ثانياً: اشترط فى قبوله لولايه العهد ألَّا يتدخل فى شؤون الدوله من قريب أو بعيد، مما أفقدهم القدره على تمشيه الأمور باسم الإمام وكسب الشرعيه له، وأبان للعالمين- ذلك اليوم وللتاريخ إلى الأبد- أنه لا يعترف بشرعيه النظام بأى وجه. وقد حاول المأمون مراراً أن يستدرج الإمام للتدخل فى الشؤون فلم يقبل، والحديث التالى يدل على ذلك:

«إِنَّ المَأْمُونَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَهَ لِنَفْسِهِ بِإِمْرَهِ المُؤْمِنِينَ وَلِلرِّضَا عليه السلام بِوِلَايَهِ الْعَهْدِ وَلِلْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ بِالْوِزَارَهِ، أَمَرَ بِثَلَاثَهِ كَرَاسِيَّ فَنُصِبَتْ لَهُمْ، فَلَمَّا قَعَدُوا عَلَيْهَا أَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا يُبَايِعُونَ فَكَانُوا يُصَفِّقُونَ بِأَيْمَانِهِمْ عَلَى أَيْمَانِ الثَّلَاثَهِ مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِلَى الْخِنْصِرِ وَيَخْرُجُونَ، حَتَّى بَايَعَ فِى آخِرِ النَّاسِ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَصَفَّقَ بِيَمِينِهِ مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى أَعْلَى الْإِبْهَامِ، فَتَبَسَّمَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، ثُمَّ قَالَ:

«كُلُّ مَنْ بَايَعَنَا بَايَعَ بِفَسْخِ الْبَيْعَهِ غَيْرَ هَذَا الْفَتَى فَإِنَّهُ بَايَعَنَا بِعَقْدِهَا».

فَقَالَ المَأْمُونُ: وَمَا فَسْخُ الْبَيْعَهِ مِنْ عَقْدِهَا؟

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «عَقْدُ الْبَيْعَهِ هُوَ مِنْ أَعْلَى الْخِنْصِرِ إِلَى أَعْلَى الْإِبْهَامِ، وَفَسْخُهَا مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِلَى أَعْلَى الْخِنْصِرِ».

قَالَ: فَمَاجَ النَّاسُ فِى ذَلِكَ، وَأَمَرَ المَأْمُونُ بِإِعَادَهِ النَّاسِ إِلَى الْبَيْعَهِ عَلَى مَا وَصَفَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام، وَقَالَ النَّاسُ: كَيْفَ يَسْتَحِقُّ الْإِمَامَهَ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَقْدَ الْبَيْعَهِ، إِنَّ مَنْ عَلِمَ لَأَوْلَى بِهَا مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ، قَالَ: فَحَمَلَهُ

ذَلِكَ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنْ سَمِّهِ» (۱)

. ثالثاً: منذ الأيام الأولى لولايته للعهد انتهز الإمام كل فرصه ممكنه لنشر بصائر الوحى، وأظهر أنه أحق بالخلافه من غيره، فمثلًا نقرأ فى وثيقه ولايته للعهد ما يدل على أن المأمون إنما عمل بواجبه فى الاحتفاء بأهل بيت الرساله. دعنا نقرأ ونتدبر معاً الوثيقه التاليه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ للهِ الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ، لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، يَعْلَمُ خَائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين.

أَقُولُ وَأَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ: إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَضَّدَهُ اللهُ بِالسَّدَادِ وَوَفَّقَهُ لِلرَّشَادِ، عَرَفَ مِنْ حَقِّنَا مَا جَهِلَهُ غَيْرُهُ، فَوَصَلَ أَرْحَاماً قُطِعَتْ، وَآمَنَ نُفُوساً فَزِعَتْ، بَلْ أَحْيَاهَا وَقَدْ تَلِفَتْ، وَأَغْنَاهَا إِذِ افْتَقَرَتْ؛ مُبْتَغِياً رِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يُرِيدُ جَزَاءً مِنْ غَيْرِهِ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ وَلا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ.

وَإِنَّهُ جَعَلَ إِلَيَّ عَهْدَهُ وَالْإِمْرَهَ الْكُبْرَى إِنْ بَقِيتُ بَعْدَهُ، فَمَنْ حَلَّ عُقْدَهً أَمَرَ اللهُ بِشَدِّهَا وَقَصَمَ عُرْوَهً أَحَبَّ اللهُ إِيثَاقَهَا فَقَدْ أَبَاحَ حَرِيمَهُ وَأَحَلَّ مُحَرَّمَهُ؛ إِذْ كَانَ بِذَلِكَ زَارِياً عَلَى الْإِمَامِ مُنْتَهِكاً حُرْمَهَ الْإِسْلَامِ. بِذَلِكَ جَرَى السَّالِفُ، فَصُبِرَ مِنْهُ عَلَى الْفَلَتَاتِ، وَلَمْ يُعْتَرَضْ بَعْدَهَا عَلَى الْعَزَمَاتِ، خَوْفاً عَلَى شَتَاتِ الدِّينِ وَاضْطِرَابِ حَبْلِ المُسْلِمِينَ، وَلِقُرْبِ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّهِ وَرَصَدِ فُرْصَهٍ تُنْتَهَزُ وَبَائِقَهٍ تُبْتَدَرُ.

وَقَدْ جَعَلْتُ للهِ عَلَى نَفْسِى- إِنِ اسْتَرْعَانِى أَمْرَ المُسْلِمِينَ وَقَلَّدَنِى خِلَافَتَهُ- الْعَمَلَ فِيهِمْ عَامَّهً وَفِى بَنِى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ خَاصَّهً

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۴.

بِطَاعَتِهِ وَطَاعَهِ رَسُولِهِ صلى الله عليه واله، وَأَلَّا أَسْفِكَ دَماً حَرَاماً، وَلَا أُبِيحَ فَرْجاً وَلَا مَالًا إِلَّا مَا سَفَكَتْهُ حُدُودُهُ وَأَبَاحَتْهُ فَرَائِضُهُ، وَأَنْ أَتَخَيَّرَ الْكُفَاهَ جُهْدِى وَطَاقَتِى، وَجَعَلْتُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِى عَهْداً مُؤَكَّداً يَسْأَلُنِى اللهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ:

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (۱).

وَإِنْ أَحْدَثْتُ أَوْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَّلْتُ كُنْتُ لِلْغِيَرِ مُسْتَحِقًّا وَلِلنَّكَالِ مُتَعَرِّضاً، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ، وَإِلَيْهِ أَرْغَبُ فِى التَّوْفِيقِ لِطَاعَتِهِ وَالْحَوْلِ بَيْنِى وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ فِى عَافِيَهٍ لِى وَلِلْمُسْلِمِين.

وَالجَامِعَهُ وَالجَفْرُ يَدُلَّانِ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ، وَما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَلا بِكُمْ، إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقْضِى بِالحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِين.

لَكِنِّى امْتَثَلْتُ أَمْرَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَآثَرْتُ رِضَاهُ، وَاللهُ يَعْصِمُنِى وَإِيَّاهُ، وَأَشْهَدْتُ اللهُ عَلَى نَفْسِى بِذَلِكَ وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً» (۲)

. وهناك بصائر نستوحيها من كلمات الرضا المضيئه:

أولًا: قوله عليه السلام: «عَرَفَ مِنْ حَقِّنَا مَا جَهِلَهُ غَيْرُهُ ... إلخ». حيث عرّض بهارون والد المأمون، وبالنظام العباسى كله، الذين لم يرعوا حرمه رسول الله صلى الله عليه واله.

ثانياً: إنه قال: «فَمَنْ حَلَّ عُقْدَهً أَمَرَ اللهُ بِشَدِّهَا ... إلخ»، إشاره إلى خبث السرائر، وحبك المؤامرات ضد الولايه.

ثالثاً: قوله: «بِذَلِكَ جَرَى السَّالِفُ ... إلى آخره»، لعله إشاره إلى سكوت الإمام أمير المؤمنين عن جهه أو صبر الأئمه على الأذى خوفاً على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين.

۱- (۱) سوره الإسراء، الآيه: ۳۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۵۲- ۱۵۳.

رابعاً: ثم بيان برنامجه للحكم الذى يخالف ما كان عليه عامه بنى العباس، وبضمنهم المأمون ذاته.

خامساً: وقال أخيراً: «وَالجَامِعَهُ وَالجَفْرُ يَدُلَّانِ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ»، حيث بيّن بذلك أنهم أصحاب علم رسول الله صلى الله عليه واله، وأنهم أحق بالأمر منهم.

وعندما تهيَّأ الناس للبيعه لفت الإمام نظره إلى أن طريقتهم للبيعه خاطئه مما أثار زوبعه فى الناس. دعنا نستمع إلى الحديث التالى الذى جرى بين المأمون والإمام عليه السلام:

«يَا أَبَا الْحَسَنِ! انْظُرْ بَعْضَ مَنْ تَثِقُ بِهِ تُوَلِّيهِ هَذِهِ الْبُلْدَانَ الَّتِى قَدْ فَسَدَتْ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: تَفِى لِى وَأَفِى لَكَ، فَإِنِّى إِنَّمَا دَخَلْتُ فِيمَا دَخَلْتُ عَلَى أَنْ لَا آمُرَ فِيهِ وَلَا أَنْهَى وَلَا أَعْزِلَ وَلَا أُوَلِّىَ وَلَا أَسِيرَ حَتَّى يُقَدِّمَنِىَ اللهُ قَبْلَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ الْخِلَافَهَ لَشَىْ ءٌ مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسِى، وَلَقَدْ كُنْتُ بِالْمَدِينَهِ أَتَرَدَّدُ فِى طُرُقِهَا عَلَى دَابَّتِى، وَإِنَّ أَهْلَهَا وَغَيْرَهُمْ يَسْأَلُونِّى الْحَوَائِجَ فَأَقْضِيهَا لَهُمْ، فَيَصِيرُونَ كَالْأَعْمَامِ لِى، وَإِنَّ كُتُبِى لَنَافِذَهٌ فِى الْأَمْصَارِ، وَمَا زِدْتَنِى فِى نِعْمَهٍ هِىَ عَلَىَّ مِنْ رَبِّى، فَقَالَ: أَفِى لَكَ» (۱)

. وكانت من أعظم ما بيّن فضل الإمام، مجالس المحاجّه التى كان يعقدها بين فتره وأخرى. ولنستعرض معاً واحداً من هذه المجالس لنرى ماذا يدور فيها:

«قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِى حَدِيثٍ لَنَا عِنْدَ أَبِى الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا يَاسِرٌ، وَكَانَ يَتَوَلَّى أَمْرَ أَبِى الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: يَا سَيِّدِى! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: فِدَاكَ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۴.

أَخُوكَ! إِنَّهُ اجْتَمَعَ إِلَيَّ أَصْحَابُ المَقَالَاتِ وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ وَالمُتَكَلِّمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْمِلَلِ فَرَأْيُكَ فِي الْبُكُورِ عَلَيْنَا إِنْ أَحْبَبْتَ كَلَامَهُمْ، وَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ فَلَا تَتَجَشَّمْ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَصِيرَ إِلَيْكَ خَفَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «أَبْلِغْهُ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُ مَا أَرَدْتَ وَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْكَ بُكْرَةً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى» (۱)

. ثم بيَّن الإمام ما يدل على أن هدف المأمون من تشكيل مثل هذه المجالس، النيل من قدر الإمام حيث يظن أنه قد يتوقف عن محاجه خصومه ولكن الإمام قال للنوفلي (الراوي):

«يَا نَوْفَلِيُّ! أَتُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ مَتَى يَنْدَمُ المَأْمُونُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا سَمِعَ احْتِجَاجِي عَلَى أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الزَّبُورِ بِزَبُورِهِمْ، وَعَلَى الصَّابِئِينَ بِعِبْرَانِيَّتِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الْهَرَابِذَةِ بِفَارِسِيَّتِهِمْ، وَعَلَى أَهْلِ الرُّومِ بِرُومِيَّتِهِمْ، وَعَلَى أَصْحَابِ المَقَالَاتِ بِلُغَاتِهِمْ، فَإِذَا قَطَعْتُ كُلَّ صِنْفٍ وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ وَتَرَكَ مَقَالَتَهُ وَرَجَعَ إِلَى قَوْلِي عَلِمَ المَأْمُونُ أَنَّ المَوْضِعَ الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ بِمُسْتَحِقٍّ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النَّدَامَةُ مِنْهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» (۲)

. ثم بيّن الحديث- بعد هذا الكلام- وضع الجلسه وقال: «فَلَمَّا دَخَلَ الرِّضَا عليه السلام قَامَ المَأْمُونُ وَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَجَمِيعُ بَنِي هَاشِمٍ، فَمَا زَالُوا وُقُوفاً وَالرِّضَا عليه السلام جَالِسٌ مَعَ المَأْمُونِ، حَتَّى أَمَرَهُمْ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسُوا، فَلَمْ يَزَلِ المَأْمُونُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ يُحَدِّثُهُ سَاعَةً، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْجَاثَلِيقِ فَقَالَ: يَا جَاثَلِيقُ! هَذَا ابْنُ عَمِّي عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُوَمِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّنَا وَابْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأُحِبُّ أَنْ تُكَلِّمَهُ وَتُحَاجَّهُ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۵.

وَتُنْصِتَهُ، فَقَالَ الْجَاثَلِيقُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَيْفَ أَحَاجُّ رَجُلًا يَحْتَجُّ عَلَيَّ بِكِتَابٍ أَنَا مُنْكِرُهُ وَنَبِيٍّ لَا أُومِنُ بِهِ؟ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: يَا نَصْرَانِيُّ فَإِنِ احْتَجَجْتُ عَلَيْكَ بِإِنْجِيلِكَ أَتُقِرُّ بِهِ؟

قَالَ الْجَاثَلِيقُ: وَهَلْ أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَا نَطَقَ بِهِ الْإِنْجِيلُ؟، نَعَمْ وَاللهِ أُقِرُّ بِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِي.

ثُمَّ قَرَأَ الرِّضَا عليه السلام عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ وَأَثْبَتَ عَلَيْهِ أَنَّ نَبِيَّنَا صلى الله عليه واله مَذْكُورٌ فِيهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِعَدَدِ حَوَارِيِّ عِيسَى عليه السلام وَأَحْوَالِهِمْ، وَاحْتَجَّ بِحُجَجٍ كَثِيرَةٍ أَقَرَّ بِهَا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ شَعْيَا وَغَيْرَهُ، إِلَى أَنْ قَالَ الْجَاثَلِيقُ: لِيَسْأَلْكَ غَيْرِي فَلَا وَحَقِّ الْمَسِيحِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَكَ، فَالْتَفَتَ الرِّضَا عليه السلام إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْرَاهِ وَالزَّبُورِ وَكِتَابِ شَعْيَا وَحَيْقُوقَ، حَتَّى أُفْحِمَ وَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً.

ثُمَّ دَعَا عليه السلام بِالْهِرْبِذِ الْأَكْبَرِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ حَتَّى انْقَطَعَ هِرْبِذُ مَكَانَهُ.

فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: يَا قَوْمِ! إِنْ كَانَ فِيكُمْ أَحَدٌ يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ فَلْيَسْأَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ؟

فَقَامَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ الصَّابِي، وَكَانَ وَاحِداً فِي الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ: يَا عَالِمَ النَّاسِ! لَوْلَا أَنَّكَ دَعَوْتَ إِلَى مَسْأَلَتِكَ لَمْ أُقْدِمْ عَلَيْكَ بِالْمَسَائِلِ، فَلَقَدْ دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ وَلَقِيتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَلَمْ أَقَعْ عَلَى أَحَدٍ يُثْبِتُ لِي وَاحِداً لَيْسَ غَيْرُهُ قَائِماً بِوَحْدَانِيَّتِهِ، أَفَتَأْذَنُ أَنْ أَسْأَلَكَ؟

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ عِمْرَانُ الصَّابِي فَأَنْتَ هُوَ، قَالَ: أَنَا هُوَ، قَالَ: سَلْ يَا عِمْرَانُ! وَعَلَيْكَ بِالنَّصَفَةِ وَإِيَّاكَ وَالخَطَلَ وَالجَوْرَ، فَقَالَ: وَاللهِ يَا سَيِّدِي مَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تُثْبِتَ لِي شَيْئاً أَتَعَلَّقُ بِهِ فَلَا

أَجُوزُهُ، قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ.

فَازْدَحَمَ النَّاسُ وَانْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَاحْتَجَّ الرِّضَا عليه السلام عَلَيْهِ وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا إِلَى الزَّوَالِ، فَالْتَفَتَ الرِّضَا عليه السلام إِلَى الْمَأْمُونِ فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَدْ حَضَرَتْ، فَقَالَ عِمْرَانُ: يَا سَيِّدِي! لَا تَقْطَعْ عَلَيَّ مَسْأَلَتِي فَقَدْ رَقَّ قَلْبِي، قَالَ الرِّضَا عليه السلام: نُصَلِّي وَنَعُودُ، فَنَهَضَ وَنَهَضَ الْمَأْمُونُ، فَصَلَّى الرِّضَا عليه السلام دَاخِلًا وَصَلَّى النَّاسُ خَارِجاً خَلْفَ مُحَمَّدِبْنِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ خَرَجَا فَعَادَ الرِّضَا عليه السلام إِلَى مَجْلِسِهِ وَدَعَا بِعِمْرَانَ فَقَالَ: سَلْ يَا عِمْرَانُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الصَّانِعِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَأُجِيبَ إِلَى أَنْ قَالَ: أَفَهِمْتَ يَا عِمْرَانُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِي قَدْ فَهِمْتُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى مَا وَصَفْتَ وَوَحَّدْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً نَحْوَالْقِبْلَهِ، وَأَسْلَم.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ: فَلَمَّا نَظَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَى كَلَام عِمْرَانَ الصَّابِي، وَكَانَ جَدِلًا لَمْ يَقْطَعْهُ عَنْ حُجَّتِهِ أَحَدٌ قَطُّ؛ لَمْ يَدْنُ مِنَ الرِّضَا عليه السلام أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْ ءٍ، وَأَمْسَيْنَا فَنَهَضَ الْمَأْمُونُ وَالرِّضَا عليه السلام فَدَخَلَا، وَانْصَرَفَ النَّاسُ، وَكُنْتُ مَعَ جَمَاعَهٍ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذْ بَعَثَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: يَا نَوْفَلِيُّ! أَمَا رَأَيْتَ مَا جَاءَ بِهِ صَدِيقُكَ لَا وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى خَاضَ فِي شَيْ ءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ، وَلَا عَرَفْنَاهُ بِهِ إِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالمَدِينَهِ أَوْ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْكَلَام، قُلْتُ: قَدْ كَانَ الْحَاجُّ يَأْتُونَهُ فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ، فَيُجِيبُهُمْ وَرُبَّمَا كَلَّمَ مَنْ يَأْتِيهِ يُحَاجُّه.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْسُدَهُ هَذَا الرَّجُلُ فَيَسُمَّهُ أَوْ يَفْعَلَ بِهِ بَلِيَّهً، فَأَشِرْ عَلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، قُلْتُ: إِذاً لَا يَقْبَلُ مِنِّي، وَمَا أَرَادَ الرَّجُلُ إِلَّا امْتِحَانَهُ لِيَعْلَمَ هَلْ عِنْدَهُ

شَیْ ءٌ مِنْ عُلُومِ آبَائِهِ علیه السلام، فَقَالَ لِی: قُلْ لَهُ: إِنَّ عَمَّکَ قَدْ کَرِهَ هَذَا الْبَابَ وَأَحَبَّ أَنْ تُمْسِکَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْیَاءِ لِخِصَالٍ شَتَّی.

فَلَمَّا انْقَلَبْتُ إِلَی مَنْزِلِ الرِّضَا علیه السلام أَخْبَرْتُهُ بِمَا کَانَ مِنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِبْنِ جَعْفَرٍ فَتَبَسَّمَ، علیه السلام ثُمَّ قَالَ:

«حَفِظَ اللهُ عَمِّی، مَا أَعْرَفَنِی بِهِ لِمَ کَرِهَ ذَلِکَ، یَا غُلَامُ! صِرْ إِلَی عِمْرَانَ الصَّابِی فَأْتِنِی بِهِ».

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! أَنَا أَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ إِخْوَانِنَا مِنَ الشِّیعَهِ، قَالَ: فَلَا بَأْسَ، قَرِّبُوا إِلَیْهِ دَابَّهً. فَصِرْتُ إِلَی عِمْرَانَ فَأَتَیْتُهُ بِهِ فَرَحَّبَ بِهِ، وَدَعَا بِکِسْوَهٍ فَخَلَعَهَا عَلَیْهِ وَحَمَلَهُ وَدَعَا بِعَشَرَهِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَوَصَلَهُ بِهَا.

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! حَکَیْتَ فِعْلَ جَدِّکَ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ علیه السلام، قَالَ: هَکَذَا یَجِبُ. ثُمَّ دَعَا علیه السلام بِالْعِشَاءِ فَأَجْلَسَنِی عَنْ یَمِینِهِ وَأَجْلَسَ عِمْرَانَ عَنْ یَسَارِهِ، حَتَّی إِذَا فَرَغْنَا قَالَ لِعِمْرَانَ: انْصَرِفْ مُصَاحِباً وَبَکِّرْ عَلَیْنَا نُطْعِمْکَ طَعَامَ الْمَدِینَهِ، فَکَانَ عِمْرَانُ بَعْدَ ذَلِکَ یَجْتَمِعُ إِلَیْهِ الْمُتَکَلِّمُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَقَالَاتِ فَیُبْطِلُ أَمْرَهُمْ، حَتَّی اجْتَنَبُوهُ، وَوَصَلَهُ الْمَأْمُونُ بِعَشَرَهِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ مَالًا، وَحَمَلَهُ وَوَلَّاهُ الرِّضَا علیه السلام صَدَقَاتِ بَلْخٍ فَأَصَابَ الرَّغَائِبَ» (۱)

. وقصه استعداد الإمام لصلاه العید التی أرهبت النظام دلیل آخر علی أن الإمام لم یترک فرصه إلَّا واستفاد منها لإعلان دعوته، وبیان أنه الأحق بالخلافه من البیت العباسی.

«لَمَّا حَضَرَ الْعِیدُ بَعَثَ الْمَأْمُونُ إِلَی الرِّضَا علیه السلام یَسْأَلُهُ أَنْ یَرْکَبَ وَیَحْضُرَ الْعِیدَ وَیَخْطُبَ؛ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُ النَّاسِ وَیَعْرِفُوا فَضْلَهُ وَتَقِرَّ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۵.

قُلُوبُهُمْ عَلَى هَـذِهِ الـدَّوْلَهِ المُبَارَكَهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرِّضَا عليه السلام وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ مِنَ الشُّرُوطِ فِى دُخُولِى فِى هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ المَأْمُونُ: إِنَّمَا أُرِيدُ بِهَذَا أَنْ يَرْسُخَ فِى قُلُوبِ الْعَامَّهِ وَالْجُنْدِ وَالشَّاكِرِيَّهِ هَذَا الْأَمْرُ؛ فَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ وَيُقِرُّوا بِمَا فَضَّلَكَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَادُّهُ الْكَلَامَ فِى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ:

يَـا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! إِنْ أَعْفَيْتَنِى مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَىَّ، وَإِنْ لَمْ تُعْفِنِى خَرَجْتُ كَمَا كَانَ يَخْرُجُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه واله وَكَمَا خَرَجَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ عليه السلام.

قَالَ المَأْمُونُ: اخْرُجْ كَمَا تُحِبُّ. وَأَمَرَ المَأْمُونُ الْقُوَّادَ وَالنَّاسَ أَنْ يُبَكِّرُوا إِلَى بَابِ أَبِى الْحَسَنِ عليه السلام، فَقَعَدَ النَّاسُ لِأَبِى الْحَسَنِ عليه السلام فِى الطُّرُقَاتِ وَالسُّطُوحِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَاجْتَمَعَ الْقُوَّادُ عَلَى بَابِ الرِّضَا عليه السلام.

فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَـامَ الرِّضَـا عليه السـلام فَاغْتَسَـلَ وَتَعَمَّمَ بِعِمَامَهٍ بَيْضَاءَ مِنْ قُطْنٍ وَأَلْقَى طَرَفاً مِنْهَا عَلَى صَـدْرِهِ وَطَرَفاً بَيْنَ كَتِفَيْهِ وَتَشَـمَّرَ، ثُمَّ قَالَ لِجَمِيعِ مَوَالِيهِ: افْعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ أَخَـذَ بِيَـدِهِ عُكَّازَهً وَخَرَجَ وَنَحْنُ بَيْنَ يَـدَيْهِ وَهُوَحَافٍ قَدْ شَـمَّرَ سَـرَاوِيلَهُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ مُشَمَّرَهٌ.

فَلَمَّا قَامَ وَمَشَـيْنَا بَيْنَ يَـدَيْهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَخُيِّلَ إِلَيْنَا أَنَّ الْهَوَاءَ وَالْحِيطَانَ تُجَاوِبُهُ، وَالْقُوَّادُ وَالنَّاسُ عَلَى الْبَابِ قَـدْ تَزَيَّنُوا وَلَبِسُوا السِّلَاحَ وَتَهَيَّئُوا بِأَحْسَنِ هَيْئَهٍ، فَلَمَّا طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ بِهَـذِهِ الصُّورَهِ حُفَاهً قَـدْ تَشَـمَّرْنَا وَطَلَعَ الرِّضَا وَقَفَ وَقْفَهً عَلَى الْبَابِ وَقَالَ:

«اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَـدَانَا، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِيمَهِ الْأَنْعَامِ، وَالْحَمْـدُ للهِ عَلَى مَا أَبْلَانَا»، وَرَفَعَ بِذَلِكَ صَوْتَهُ وَرَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا.

فَتَزَعْزَعَتْ مَرْوُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالصِّيَاحِ، فَقَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَسَقَطَ الْقُوَّادُ عَنْ دَوَابِّهِمْ وَرَمَوْا بِخِفَافِهِمْ لَمَّا نَظَرُوا إِلَى أَبِى الْحَسَنِ عليه السلام، وَصَارَتْ مَرْوُ ضَجَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَتَمَالَكِ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالضَّجَّةِ.

فَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام يَمْشِى وَيَقِفُ فِى كُلِّ عَشَرَةِ خُطُوَاتٍ وَقْفَةً يُكَبِّرُ اللهَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَيُتَخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْحِيطَانَ تُجَاوِبُهُ. وَبَلَغَ الْمَأْمُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ بَلَغَ الرِّضَا الْمُصَلَّى عَلَى هَذَا السَّبِيلِ افْتَتَنَ بِهِ النَّاسُ، فَالرَّأْىُ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ فَسَأَلَهُ الرُّجُوعَ، فَدَعَا أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام بِخُفِّهِ فَلَبِسَهُ وَرَجَعَ» (۱)

.ص: ۵۲

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۳- ۱۳۵.

الفصل الثَّالث: شَهَادَتُهُ وَمَزَارُهُ

ص: ۵۴

وأخيراً دسّ إليه السم فمضى شهيداً شأن سائر أئمه الهدى الذين جاء عنهم الحديث الشريف:

«مَا مِنَّا إِلَّا مَسْمُومٌ أَوْ مَقْتُول» (۱)

. ولكن من الذى فعل ذلك؟

يرى طائفه كبيره من العلماء أن المأمون كان وراء ذلك، فى حين يستبعد ذلك بعضهم ويتساءل عما إذا كان المأمون بهذا المستوى من الدناءه أن يلوث يده بهذه الجريمه النكراء؟

وقد رأيت بعضهم قد ساق عشره أدله على براءه المأمون من دم سيدنا الإمام الرضا عليه السلام ولكنها عند التمحيص تنتهى إلى دليل واحد هو استبعاد وقوع تلك الجريمه من شخص نصب نفسه للدفاع عن أفكار المذهب الشيعى، وتبنى أفضليه الإمام عليه السلام.

ولكن إذا عرفنا أن المأمون العباسى كان واحداً من الخلفاء العباسيين الذين تميَّز نظامهم بالغدر بأنصارهم، أو بالذين يخشون تابعيهم، ابتداء من أبى مسلم الخراسانى وإلى برمك، وانتهاءً بفضلبن سهل. وإن المأمون كان متسنماً قمه هرم ذلك النظام الذى قد بُنيت مؤسساته على أساس البغى والمكر والغيله، فما الذى يمنعه عن اتباع

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۲۷، ص ۲۱۷. وَ ج ۴۴، ص ۱۳۸.

سیره أسلافه، وممارسه جرائم اجداده؟

علی أن عقائـده فی خلق القرآن أو تفضـیل الإمـام علی علی سائر الصـحابه أو ما أشـبه لم تجعله من شـیعه علی وآل علی علیهم السـلام، لأن اسـتمراره فی حکم المسـلمین بذاته أکبر جریمه، وأعظم ذنب، وأعتی طغیان فی منطق علی وشـیعه علی. إذ إنه نوع من ادِّعاء الربوبیه ومنازعه الله فی الألوهیه!

ثم إن سـیرته- مع النـاس من القتل والتنکیل ونشـر الفساد بمختلف ألوانه- تتنافی وأبسط مبادئ التشـیع لآل البیت علیهم السـلام. فما الذی یمنعه إذاً من ارتکاب جریمه القتل بحق آل بیت الرساله؟.

وإننـا لنقرأ فی صـفحات التاریـخ ما یهـدینا إلی أن شـخص المأمون قـد أشـرف علی عملیه اغتیال الإمام علیه السـلام عبر جهازه السری، الذی یُشابه فی أیامنا مخابرات قصر الإماره أو الرئاسه فی الدوله الأشد دیکتاتوریهً فی العالم.

وقد جاءت هذه الخطوه بعد أن قُمعت أو هدأت ثورات العلویین فی أطراف الأرض، وانتهت فلسـفه اسـتدعاء الإمام علیه السـلام إلی خراسان. وبعـد أن بدأت تتجمع الغیوم فوق بغداد، وظهرت ارهاصات ثوره العباسـیین، وأزمع المأمون علی العوده إلی بغداد لاسترضاء بنی عمه، والعوده إلی سیره أجداده من لبس السواد وتوزیع المناصب علی ذوی قرباه.

ولعل الحدیث التالی یوضح هذه الحاله التی تَنَبَّه لها الإمام الرضا علیه السـلام ونَبَّه إلیها المأمون ربما لیعرف هذا الأخیر أن الإمام واقف علی نوایاه، وأنه إنما یسایره حسب المصلحه العامه.

ص: ۵۶

قال الإمام الرضا للمأمون يوماً فی حدیث مفصل:

«فَاتَّقِ اللهَ- یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ- فِی أُمُورِ الْمُسْلِمِینَ وَارْجِعْ إِلَی بَیْتِ النُّبُوَّهِ وَمَعْدِنِ الْمُهَاجِرِینَ وَالْأَنْصَار.

ثم قال: أَرَی أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَتَتَحَوَّلَ إِلَی مَوْضِعِ آبَائِکَ وَأَجْدَادِکَ، وَتَنْظُرَ فِی أُمُورِ الْمُسْلِمِینَ وَلَا تَکِلَهُمْ إِلَی غَیْرِکَ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُکَ عَمَّا وَلَّاک» (۱)

. ثم إن الفضل بن سهل تنبه إلی ذلک أیضاً فتراه یمتنع عن الرحیل مع المأمون، ویعتذر فی ذلک إلیه بالقول:

«إِنَّ ذَنْبِی عَظِیمٌ عِنْدَ أَهْلِ بَیْتِکَ وَعِنْدَ الْعَامَّهِ وَالنَّاسُ یَلُومُونَنِی بِقَتْلِ أَخِیکَ الْمَخْلُوعِ وَبَیْعَهِ الرِّضَا علیه السلام، وَلَا آمَنُ السُّعَاهَ وَالْحُسَّادَ وَأَهْلَ الْبَغْیِ أَنْ یَسْعَوْا بِی، فَدَعْنِی أَخْلُفُکَ بِخُرَاسَان» (۲)

. ولکن المأمون یصدّ علیه بذلک وقد دبَّر له أمراً. إنه لا یرید اغتیاله فی معقل قوته وبین أنصاره وأعوانه بل فی الطریق.

وفعلًا- تقول الروایه- فلما کان بعد ذلک (والحوار بین المأمون والفضل)- بأیام ونحن فی بعض المنازل- دخل الفضل الحمام

«فَدَخَلَ عَلَیْهِ قَوْمٌ بِالسُّیُوفِ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذَ مَنْ دَخَلَ عَلَیْهِ فِی الْحَمَّام، وَکَانُوا ثَلَاثَهَ نَفَرٍ أَحَدُهُمْ ابْنُ خَالَهِ الْفَضْلِ ذُو الْقَلَمَیْنِ. قَالَ: وَاجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَالْجُنْدُ وَمَنْ کَانَ مِنْ رِجَالِ ذِی الرِّئَاسَتَیْنِ عَلَی بَابِ الْمَأْمُونِ، فَقَالُوا: اغْتَالَهُ وَقَتَلَهُ فَلَنَطْلُبَنَّ بِدَمِه» (۳)

. وهکذا تخلَّص المأمون من أبرز مراکز القوی داخل سلطته،

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۶.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۸.

ولم يبقَ أمامه إلَّا الإمام الرضا عليه السلام الذى تم اغتياله بعد ذلك بأيام قلائل. أَوَلَا يدل قرب وفاته عليه السلام وقتل الفضل على وجود مؤامرةٍ قذرةٍ ضده.

هكذا يتأكد لنا ما يذهب إليه المشهور من العلماء الشيعه من أن الإمام استشهد بسم المأمون حسبما يرى العلَّامه المجلسى فى قوله: «الأشهر بيننا أنه عليه السلام مضى شهيداً بسم المأمون». ويضيف: «وينسب إلى السيد على بن طاوس أنه أنكر ذلك» (۱).

دعنا نستمع إلى نبأ شهادته من لسان المعاصرين:

ألف: كان أبو الصلت الهروى من المعاصرين للإمام ومن صانعى الأحداث أو المراقبين لها عن كثب لصلته الوثيقه بالإمام، فيسأله أحمدبن على الأنصارى عن سبب اغتيال المأمون للإمام الرضا عليه السلام، يقول له:

«كَيْفَ طَابَتْ نَفْسُ المَأْمُونِ بِقَتْلِ الرِّضَا عليه السلام مَعَ إِكْرَامِهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ وَمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ وِلَايَهِ الْعَهْدِ بَعْدَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ المَأْمُونَ إِنَّمَا كَانَ يُكْرِمُهُ وَيُحِبُّهُ لِمَعْرِفَتِهِ بِفَضْلِهِ، وَجَعَلَ لَهُ وِلَايَهَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِيُرِىَ النَّاسَ أَنَّهُ رَاغِبٌ فِى الدُّنْيَا فَيَسْقُطَ مَحَلُّهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، فَلَمَّا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ فِى ذَلِكَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا ازْدَادَ بِهِ فَضْلًا عِنْدَهُمْ وَمَحَلًّا فِى نُفُوسِهِمْ، جَلَبَ عَلَيْهِ المُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْبُلْدَانِ طَمَعاً مِنْ أَنْ يَقْطَعَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَيَسْقُطَ مَحَلُّهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَبِسَبَبِهِمْ يَشْتَهِرُ نَقْصُهُ عِنْدَ الْعَامَّهِ.

فَكَانَ لَا يُكَلِّمُهُ خَصْمٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ وَالْبَرَاهِمَهِ وَالمُلْحِدِينَ وَالدَّهْرِيَّهِ وَلَا خَصْمٌ مِنْ فِرَقِ المُسْلِمِينَ المُخَالِفِينَ لَهُ إِلَّا قَطَعَهُ وَأَلْزَمَهُ الْحُجَّهَ، وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: وَاللهِ إِنَّهُ أَوْلَى بِالْخِلَافَهِ مِنَ المَأْمُونِ، فَكَانَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ يَرْفَعُونَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَيَغْتَاظُ مِنْ ذَلِكَ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۱.

يَشْتَدُّ حَسَدُهُ، وَكَانَ الرِّضَا عليه السلام لَا يُحَابِي المَأْمُونَ مِنْ حَقٍّ وَكَانَ يُجِيبُهُ بِمَا يَكْرَهُ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ، فَيَغِيظُهُ ذَلِكَ وَيَحْقِدُهُ عَلَيْهِ وَلَا يُظْهِرُهُ لَهُ، فَلَمَّا أَعْيَتْهُ الْحِيلَهُ فِي أَمْرِهِ اغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ بِالسَّم» (۱)

. باء: وينقل الشيخ المفيد- رضوان الله عليه- مجمل قصه شهادته، مع بعض التفسير لأسباب غيظ المأمون منه، فيقول:

«دَخَلَ الرِّضَا عليه السلام يَوْماً عَلَيْهِ فَرَآهُ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاهِ وَالْغُلَامُ يَصُبُّ المَاءَ عَلَى يَدَيْهِ فَقَالَ: لَا تُشْرِكْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِعِبَادَهِ رَبِّكَ أَحَداً.

فَصَرَفَ المَأْمُونُ الْغُلَامَ وَتَوَلَّى تَمَامَ وُضُوءِ نَفْسِهِ، وَزَادَ ذَلِكَ فِي غَيْظِهِ وَوَجْدِهِ.

كَانَ عليه السلام يُزْرِي عَلَى الْفَضْلِ وَالْحَسَنِ ابْنَيْ سَهْلٍ عِنْدَ المَأْمُونِ إِذَا ذَكَرَهُمَا وَيَصِفُ لَهُ مَسَاوِيَهُمَا وَيَنْهَاهُ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى قَوْلِهِمَا، وَعَرَفَا ذَلِكَ مِنْهُ، فَجَعَلَا يُخَطِّئَانِ عَلَيْهِ عِنْدَ المَأْمُونِ وَيَذْكُرَانِ لَهُ عِنْدَهُ مَا يُبَعِّدُهُ مِنْهُ وَيُخَوِّفَانِهِ مِنْ حَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى قَلَّبَا رَأْيَهُ فِيهِ وَعَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ عليه السلام.

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَكَلَ هُوَ وَالمَأْمُونُ يَوْماً طَعَاماً فَاعْتَلَّ مِنْهُ الرِّضَا عليه السلام وَأَظْهَرَ المَأْمُونُ تَمَارُضاً، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَهَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ بِشْرٍ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ: أَمَرَنِي المَأْمُونُ أَنْ أُطَوِّلَ أَظْفَارِي عَلَى الْعَادَهِ وَلَا أُظْهِرَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ، فَفَعَلْتُ ثُمَّ اسْتَدْعَانِي فَأَخْرَجَ إِلَيَّ شَيْئاً يُشْبِهُ التَّمْرَ الْهِنْدِيَّ، فَقَالَ لِيَ: اعْجِنْ هَذَا بِيَدَيْكَ جَمِيعاً فَفَعَلْتُ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَنِي، وَدَخَلَ عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَالَ لَهُ مَا خَبَرُكَ؟

قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ صَالِحاً.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۰.

قَالَ لَهُ: أَنَا الْيَوْمَ بِحَمْدِ اللهِ أَيْضاً صَالِحٌ، فَهَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَرَفِّقِينَ فِي هَذَا الْيَوْمِ؟ قَالَ: لَا، فَغَضِبَ الْمَأْمُونُ وَصَاحَ عَلَى غِلْمَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: فَخُذْ مَاءَ الرُّمَّانِ السَّاعَةَ فَإِنَّهُ مِمَّا لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، ثُمَّ دَعَانِي فَقَالَ ائْتِنَا بِرُمَّانٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَقَالَ لِيَ: اعْصِرْ بِيَدَيْكَ، فَفَعَلْتُ وَسَقَاهُ الْمَأْمُونُ الرِّضَا عليه السلام بِيَدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَفَاتِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى مَات عليه السلام.

وَذُكِرَ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَدْ خَرَجَ الْمَأْمُونُ مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ لِي: يَا أَبَا الصَّلْتِ! قَدْ فَعَلُوهَا. وَجَعَلَ يُوَحِّدُ اللهَ وَيُمَجِّدُهُ.

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الرِّضَا عليه السلام يُعْجِبُهُ الْعِنَبُ فَأَخَذَ لَهُ مِنْهُ شَيْئاً فَجَعَلَ فِي مَوْضِعِ أَقْمَاعِهِ الْإِبْرَ أَيَّاماً ثُمَّ نَزَعَ وَجِيءَ بِهِ إِلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي ذَكَرْنَا فَقَتَلَهُ. وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لَطِيفِ السُّمُومِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ الرِّضَا عليه السلام كَتَمَ الْمَأْمُونُ مَوْتَهُ يَوْماً وَلَيْلَةً، ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عليه السلام وَجَمَاعَةِ آلِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ نَعَاهُ إِلَيْهِمْ وَبَكَى وَأَظْهَرَ حُزْناً شَدِيداً وَتَوَجَّعَ، وَأَرَاهُمْ إِيَّاهُ صَحِيحَ الْجَسَدِ، وَقَالَ: يَعِزُّ عَلَيَّ- يَا أَخِي- أَنْ أَرَاكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، قَدْ كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أُقَدَّمَ قَبْلَكَ فَأَبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِغُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَتَحْنِيطِهِ، وَخَرَجَ مَعَ جَنَازَتِهِ فَحَمَلَهَا حَتَّى أَتَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ مَدْفُونٌ فِيهِ الْآنَ فَدَفَنَهُ. وَالْمَوْضِعُ دَارُ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَةَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا سَنَابَاذُ عَلَى دَعْوَةٍ مِنْ نَوْقَانَ مِنْ أَرْضِ طُوسَ، وَفِيهَا قَبْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَبْرُ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بَيْنَ يَدَيْهِ فِي قِبْلَتِهِ. وَمَضَى الرِّضَا عليه السلام وَلَمْ يَتْرُكْ وَلَداً نَعْلَمُهُ إِلَّا ابْنَهُ الْإِمَامَ بَعْدَهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ

عَلِيٍّ علیه السلام، وَكَانَ سِنُّهُ يَوْمَ وَفَاهِ أَبِيهِ سَبْعَ سِنِينَ» (۱).

جیم: ویصف یاسر الخادم اللحظات الأخیره من حیاه الإمام الرضا علیه السلام حیث تجلَّت فیها روحه الربانیه وخُلُقُهُ المحمدی فیقول:

«لَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ طُوسَ سَبْعَهُ مَنَازِلَ اعْتَلَّ أَبُو الْحَسَنِ علیه السلام فَدَخَلْنَا طُوسَ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ بِهِ الْعِلَّهُ فَبَقِينَا بِطُوسَ أَيَّاماً، فَكَانَ المَأْمُونُ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ كَانَ ضَعِيفاً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ لِي بَعْدَمَا صَلَّى الظُّهْرَ: يَا يَاسِرُ! أَكَلَ النَّاسُ شَيْئاً؟

قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! مَنْ يَأْكُلُ هَاهُنَا مَعَ مَا أَنْتَ فِيهِ؟!.

فَانْتَصَبَ علیه السلام ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا المَائِدَهَ.

وَلَمْ يَدَعْ مِنْ حَشَمِهِ أَحَداً إِلَّا أَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى المَائِدَهِ يَتَفَقَّدُ وَاحِداً وَاحِداً، فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: ابْعَثُوا إِلَى النِّسَاءِ بِالطَّعَامِ.

فَحُمِلَ الطَّعَامُ إِلَى النِّسَاءِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْأَكْلِ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَضَعُفَ فَوَقَعَتِ الصَّيْحَهُ، وَجَاءَتْ جَوَارِي المَأْمُونِ وَنِسَاؤُهُ حَافِيَاتٍ حَاسِرَاتٍ، وَوَقَعَتِ الْوَجْبَهُ بِطُوسَ، وَجَاءَ المَأْمُونُ حَافِياً وَحَاسِراً يَضْرِبُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَتَأَسَّفُ وَيَبْكِي وَتَسِيلُ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ، فَوَقَفَ عَلَى الرِّضَا علیه السلام وَقَدْ أَفَاقَ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! وَاللهِ مَا أَدْرِي أَيُّ المُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ عَلَيَّ: فَقْدِي لَكَ وَفِرَاقِي إِيَّاكَ أَوْ تُهَمَهُ النَّاسِ لِي أَنِّي اغْتَلْتُكَ وَقَتَلْتُكَ؟ قَالَ: فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

«أَحْسِنْ- يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ- مُعَاشَرَهَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَإِنَّ عُمُرَكَ وَعُمُرَهُ هَكَذَا، وَجَمَعَ بَيْنَ سَبَّابَتَيْهِ» (۲)

.ص: ۶۱

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۰۸.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۹.

كما أنه يصف الحوادث التى وقعت بعد وفاته مباشرةً، فيقول:

«فَلَمَّا كَانَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَضَى عَلَيْهِ بَعْدَمَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْضُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ وَقَالُوا: هَذَا قَتَلَهُ وَاغْتَالَهُ يَعْنِى المَأْمُونَ، وَقَالُوا: قَتَلَ ابْنَ رَسُولِ اللهِ، وَأَكْثَرُوا الْقَوْلَ وَالْجَلَبَهَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام اسْتَأْمَنَ إِلَى المَأْمُونِ وَجَاءَ إِلَى خُرَاسَانَ، وَكَانَ عَمَّ أَبِى الْحَسَنِ، فَقَالَ لَهُ المَأْمُونُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ! اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ لَا يُخْرَجُ الْيَوْمَ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْرِجَهُ فَتَقَعَ الْفِتْنَهُ، فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! تَفَرَّقُوا فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ لَا يُخْرَجُ الْيَوْمَ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَغُسِّلَ أَبُو الْحَسَنِ فِى اللَّيْلِ وَدُفِنَ» (۱)

. وبقى ضريح الإمام الرضا عليه السلام مزاراً يؤمه شيعه أهل البيت عليهم السلام ومحبوهم لما أُثر عن النبى صلى الله عليه واله وأهل بيته من الترغيب فى ذلك، فقد روى عن النبى صلى الله عليه واله أنه قال:

«سَتُدْفَنُ بَضْعَهٌ مِنِّى بِأَرْضِ خُرَاسَانَ؛ لَا يَزُورُهَا مُؤْمِنٌ إِلَّا أَوْجَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْجَنَّهَ، وَحَرَّمَ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ» (۲).

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«يَخْرُجُ وَلَدٌ مِن ابْنِى مُوسَى اسْمُهُ اسْمُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ الصَّلَاهُ وَالسَّلَامُ) إِلَى أَرْضِ طُوسَ وَهِىَ بِخُرَاسَانَ، يُقْتَلُ فِيهَا بِالسَّمِّ، فَيُدْفَنُ فِيهَا غَرِيباً؛ مَنْ زَارَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى أَجْرَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» (۳)

.ص: ۶۲

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۸۴.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۸۶.

وطفق الشعراء يرثونه بما يُفَتِّتُ كبد الحجر ألماً. كما أخذوا بفضح أولئك الغدره الذين اغتالوه بالسم، فقال دعبل ضمن قصيده:

أَرعتم ذئاباً من أميّه وانتحت عليهم دراكاً أزمه وسنون

وعاثت بنو العبّاس فى الدين عيثه تَحَكَّمَ فيه ظالم وظنين

وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده وما ذاك مأمون وذاك أمين

فما قبلت بالرشد منهم رعايه ولا لولى بالأمانه دين

رئيسهم غاوٍ وطفلاه بعده لهذا رزايا دون ذاك مجون

ألا أيها القبر الغريب محله بطوس عليك الساريات هتون (۱)

وقال أبو فراس الحمدانى يرثى الرضا عليه السلام:

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعضه من رشدهم وعموا

عصابه شقيت من بعدما سعدت ومعشر هلكوا من بعدما سلموا

لا بيعه ردعتهم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا رحم (۲)

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۵، نقلًا عن مقاتل الطالبيين، ص ۳۷۲- ۳۷۳.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۴.

الفصل الرابع: كلمَاتُهُ المُضِيْئَهُ

ص: ۶۶

هل يكفى الانتماء الاسمى إلى الإمام الرضا عليه السلام من دون معرفته، والاستضاءه بنور علمه ومعارفه؟ وكيف يرجو شفاعه النبى صلى الله عليه واله وأهل بيته عليهم السلام يوم الجزاء مَنْ لم يتبع سننهم، ويهتدى بنورهم؟

إن علينا أن نبحث عن وصاياهم التى خلفوها لنا كنوزاً لا تنفد، وتلاداً نعم لا تُضاهى.

والإمام الرضا عليه السلام خلّف ميراثاً عظيماً من المعارف والعلوم، خصوصاً فى ا لحكمه الإلهيه، وبيان فلسفه الأحكام، والرد على المذاهب الباطله.

ونحن فى خاتمه كتابنا الذى تشرّف باسمه نُثبت وصاياه الرشيده وأشعاره الحكيمه، لعلَّنا ننتفع بها:

قال على بن شعيب:

«دَخَلْتُ عَلَى أَبِى الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِى: يَا عَلِىُّ! مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ مَعَاشاً؟ قُلْتُ: يَا سَيِّدِى أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى، فَقَالَ عليه السلام: يَا عَلِىُّ! مَنْ حَسَّنَ مَعَاشَ غَيْرِهِ فِى مَعَاشِهِ. يَا عَلِىُّ! مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ مَعَاشاً؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: مَنْ لَمْ يُعِشْ غَيْرَهُ فِى مَعَاشِهِ. يَا عَلِىُّ! أَحْسِنُوا جِوَارَ النِّعَمِ فَإِنَّهَا وَحْشِيَّةٌ مَا نَأَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم. يَا عَلِىُّ! إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ

مَنَعَ رِفْدَهُ وَأَكَلَ وَحْدَهُ وَجَلَدَ عَبْدَهُ، أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللهِ فَإِنَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللهِ كَانَ اللهُ عِنْدَ ظَنِّهِ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ قُبِلَ مِنْهُ الْيَسِيرُ مِنَ الْعَمَلِ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْحَلَالِ خَفَّتْ مَؤُونَتُهُ، وَنُعِّمَ أَهْلُهُ، وَبَصَّرَهُ اللهُ دَاءَ الدُّنْيَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِماً إِلَى دَارِ السَّلَامِ. لَيْسَ لِبَخِيلٍ رَاحَةٌ وَلَا لِحَسُودٍ، لَذَّةٌ وَلَا لِمَلُولٍ وَفَاءٌ، وَلَا لِكَذُوبٍ مُرُوَّه» (۱)

. وقال عليه السلام: «إِنَّ أَوْحَشَ مَا يَكُونُ هَذَا الْخَلْقُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَدُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيُعَايِنُ الْآخِرَةَ وَأَهْلَهَا، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرَى أَحْكَاماً لَمْ يَرَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا. وَقَدْ سَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَحْيَى عليه السلام فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَوَاطِنِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ؛ فَقَالَ فی یحیی:

وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً (۲)، وفی عیسی: وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (۳)».

«لَا يَتِمُّ عَقْلُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ:

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ، لَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ دَهْرِهِ، الْفَقْرُ فِي اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، وَالذُّلُّ فِي اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي عَدُوِّهِ، وَالْخُمُولُ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الشُّهْرَةِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: الْعَاشِرَةُ وَمَا الْعَاشِرَةُ؟

قِيلَ لَهُ: مَا هِيَ؟

قَالَ عليه السلام: لَا يَرَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَأَتْقَى؛ إِنَّمَا

۱- (۱) فی رحاب أئمه أهل البیت، ص ۱۴۸.

۲- (۲) سوره مریم، الآیه: ۱۵

۳- (۳) سوره مریم، الآیه: ۳۳.

النَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقَى وَرَجُلٌ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، فَإِذَا لَقِيَ الَّذِي شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى قَالَ: لَعَلَّ خَيْرَ هَذَا بَاطِنٌ وَهُوَخَيْرٌ لَهُ وَخَيْرِي ظَاهِرٌ وَهُوَشَرٌّ لِي، وَإِذَا رَأَى الَّذِي هُوَخَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقَى تَوَاضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ عَلَا مَجْدُهُ، وَطَابَ خَيْرُهُ، وَحَسُنَ ذِكْرُهُ، وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِه» (١)

. وكان ينشد أشعاراً يقول فيها (ولعلها من إنشائه):

إِذَا كَانَ دُونِي مَنْ بُلِيتُ بِجَهْلِهِ أَبَيْتُ لِنَفْسِي أَنْ تُقَابِلَ بِالْجَهْلِ

وَإِنْ كَانَ مِثْلِي فِي مَحَلِّي مِنَ النُّهَى أَخَذْتُ بِحِلْمِي كَيْ أَجِلَّ عَنِ الْمِثْلِ

وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِي الْفَضْلِ وَالْحِجَى عَرَفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ وَالْفَضْل (٢)

وقال:

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مُدَّه***يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ

أَلَا تَرَى المَوْتَ مُحِيطاً بِهَا *** يَكْذِبُ فِيهَا أَمَلُ الْآمِلِ

تُعَجِّلُ الذَّنْبَ لِمَا تَشْتَهِي *** وَتَأْمُلُ التَّوْبَةَ فِي قَابِلِ

وَالمَوْتُ يَأْتِي أَهْلَهُ بَغْتَةً *** مَا ذَاكَ فِعْلَ الْحَازِمِ الْعَاقِلِ (٣)

وإلى هنا نختم حديثنا المختصر عن حياه سيدنا الإمام الرضا عليه السلام نسأل الله أن ينفعنا به يوم القيامه ويجعل ذلك وسيلةً لاتباعنا له فى الدنيا وشفاعته عند الله فى الآخره.

١- (١) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ١۴٧.

٢- (٢) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ١۵٠.

٣- (٣) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ١۵٠.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹